الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور الطاهر مولاي ـ سعيدة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية

تخصص أدب عربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي الموسومة بـــ :

أدب السجون في الأندلس بين زيدون أنموذج

إعداد الطالبتان:

توينخ فاطيمة الزهرة

حمامد أسماء

تحت إشراف الأستاذ:

د.عبيد نصر الدين

السنة الجامعية:1437- 1438ه/2016-2017م

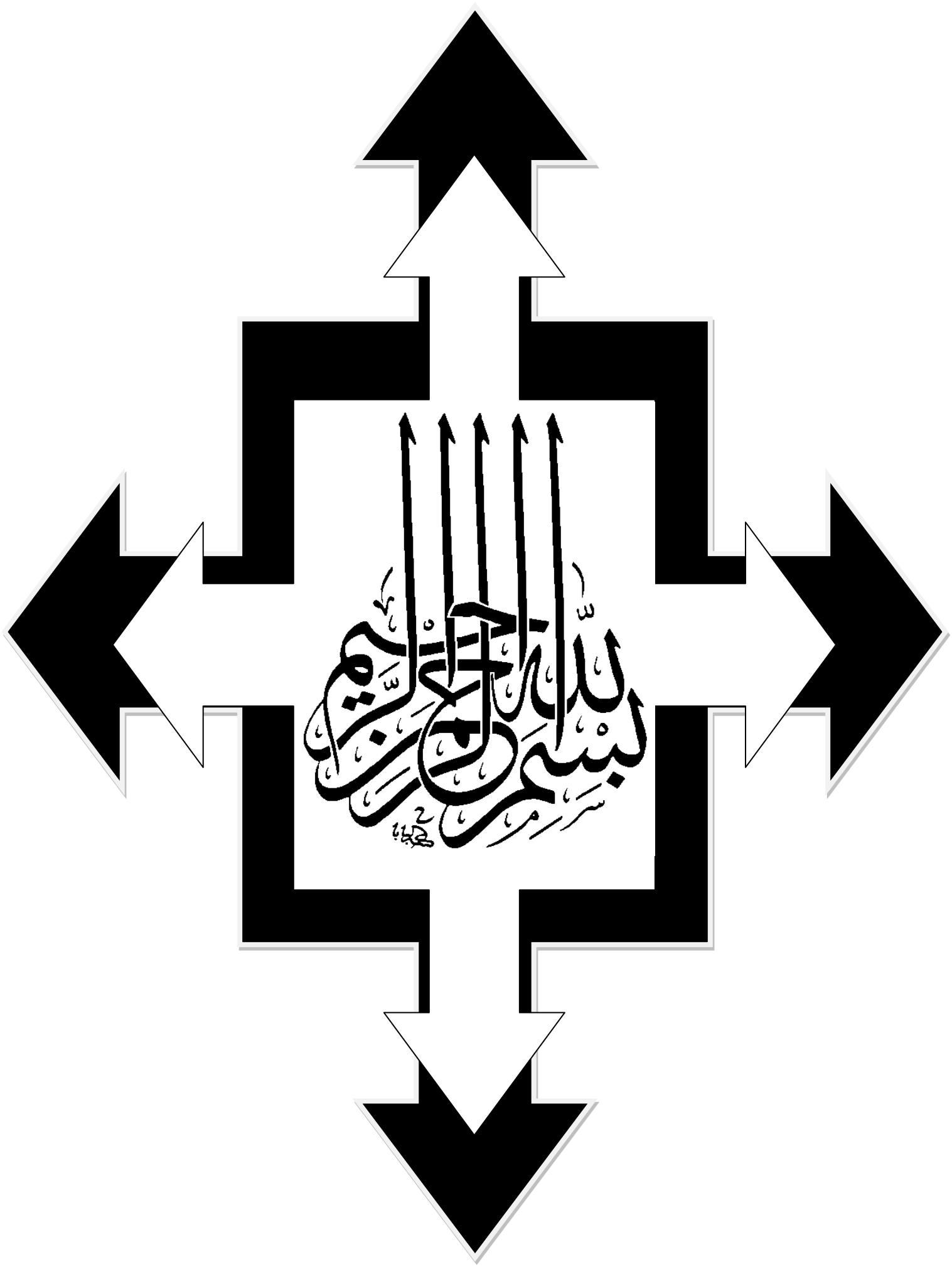
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(إلاَّ أن يُسّجن أو عذابٌ أليمٌ)

صدق الله العظيم

سورة يوسف, الآية25

الدعاء

قال تعالى:"وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مدخل صدق واجعل لي من لدنك سلطانا"الإسراء 80.

وقال:"ادعوني أستجيب لكم" غافر60.

اللهم أهدنا في من هديت واشرح لنا صدرنا ويسر لنا أمرنا

اللهم بارك لنا في عملنا هذا وارزقنا خيره

اللهم نسألك خير النجاح وخير العلم وخير الثواب

اللهم لا تَرهن أنفسنا باليأس إذا أخفقنا ولا بالغرور إذا نجحنا

اللهم اجعل ذِكرنا بأن الفشل هو تجربة النجاح

اللهم ارزقنا النجاح بالتواضع وتواضعا باعتزاز النفس

اللهم اجعل حظنا في ما تحب وما ترضى

ربنا تقبل دعاءنا

ربنا لا تجعل قلوبنا خالية من ذكرك إنك السميع المجيب.

تشكرات

قال تعالى:"فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون"البقرة 152.

وقال:"وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد" إبراهيم 7.

إن كان شكرنا الأول فهو لله عز وجل الذي وفقنا في رحلتنا هذه التي لولاه لما أبحرت سفينتنا والذي نحمده حمدا مباركا على هذه النعمة الطيبة والنافعة على،نعمة العلم والبصيرة،فالحمد لك يا من منّت علينا من فضل بركاتك وتوفيقك،يا من لطالما طرقنا بابك في الشدائد فكنت لنا نعم المعين.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أكرمت اللئيم تمردا

رجاءا أن نكون من الكرام مخافةً أن نكون من اللئام،فبعد حمد الله فيكون شكرنا الثاني إليك يا من لا نجد من الكلام ما يعبر عن عظيم شكرنا وامتناننا لك يا أستاذنا المشرف:عبيد نصر الدين،الذي كان كأب ومرشد لم يتوان لحظة في تنبيهنا وإرشادنا،الذي سَهل لنا طريق العمل ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة فوجهنا من الخطأ وشجعنا لحظة الصواب،كان مشعل نور اهتدائنا في رحلة بحثنا ولولا فضله لما رأت هذه الدراسة النور،فبُورك وأطال الله في عمره وأدامه بَحرا فيَاضا لطلابه وأبناءه.

وكما نتقدم بخالص الشكر إلى أساتذتي الكرام أساتذة كلية الآداب واللغة العربية جامعة الدكتور الطاهر مولاي سعيدة،الذين لم يبخلوا علينا من علم وفتحوا لنا أوسع الأفق للتعلم.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم ولو بقليل في هذا البحث زميلنا:حليمي عبد الرحمن،وزميلتنا وداد بالمبروك،فاطيمة دحماني وإلى من ساعدنا وكان عونا لنا، الذي ساهم بكل ما لديه لمساعيد محمد.

الإهداء

قال تعالى:"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" الإسراء23.

إليكَ يا جنتي على الأرض إليكَ يا من كنت عطاء وعنوان وسنفونية أيامي وألحانا عذبة في حياتي,إليكَ يا من أحمل اسمه بافتخار صاحب الهيبة والوقار،يا من دفعني لإكمال دراستي وتحمل معي كل الأتعاب والمصاريف بهدف إيصالي إلى أعلى الرتب واكتساب أحسن المناصب...فلك كل قطرة حبر وكل حرف من هذه المذكرة،إليك يا أحلـــــى والد في الدنيا "إبراهيم".

إليكِ إليكِ إليكِ يا جنتي في السَماء إليكِ يا رمز الحنان والإحسان إليك يا نور عيني إليك يا أماه يا من سهرت ونصحت وتحملت إليك من كنت أملي عند الفشل وقوتي عند الضعف،إليك أمي الغالية حفظك الله وأدامك تاجا على رأسي.

إلى من أنجبت لي أمي عزيزتي وأختي الوحيدة :عربية،من كنت بجانبي وسندي دائما.

إلى كتاكيتي وعصافيري في الدنيا ورفقاء دربي إخوتي:محمد ،عبد الناصر،عمر.

ولي مقولة تركت أثرا في نفسي وهي:"من علمني حرفا ملكني عبدا"لا أنسى أن يكون ثمرة جهدي هذه مهداة إلى

أساتذتي في الابتدائي والمتوسط ومن الثانوي,وإلى الجامعي.

وإلى من أعطاني سنده ووجهني خالي رشيد جلولي، وإلى كافة أخوالي وخالاتي:عائلة جلولي من صغيرهم حتى كبيرهم.

إلى من غابت عن الحياة وهذا العمل يُوشك أن يرى النور جدتي،رحمة الله عليها.

وفي قول الشاعر:

وإذا صاحبت فاصحب ماجدا ذا عفاف وحياء وكرم

قوله للشيء لا إن قلت لا وإذا قلت نعم قال نعم

إليك رفيقتي في الدرب إلى من شاركتني عناء ومشقة هذه المذكرة صاحبة الأخلاق والجد والمثابرة صديقتي :حمامد أسماء،فكنت خير هون علي في المتاعب.

إلى كل صديق أعانني وشجعني ولو بكلمة طيبة.

إليك يا من زين لي الدنيا شموعا وزهورا،فكنت رجائي عند اليأس وأملي عند القنوط،إليك يا بسمة الأيام وأنشودة الأمان وموطن الكتمان إليك:لمساعيد محمد,يا لحنا جميلا تردده أعماقي.

تواينخ فاطيمة الزهرة.

الإهداء

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام

على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أهدي ثمرة جهدي إلى التي حملتني ومنحتني الحياة،وأحاطتني بحنانها,أمي الغالية التي حرصت على تعليمي بصبرها وتضحيتها في سبيل نجاحي.

إلى أبي العزيز الذي دعمني في مشواري الدراسي منذ خطواتي الأولى

ورباني فأحسن تربيتي،فهو بمثابة مثلي الأعلى.

حفظهما الله وأطال عمرهما وأدخلهما رياض الجنة.

كما لا يفوتني أن أخص إهدائي بذكر جدي العزيز والجدتين

الحنونتين الذين أعانوني بالدعاء،أطال الله في أعمارهم.

إلى من عشت براءة طفولتي معهم فلم أتصور الدنيا من دونهم

إخوتي:فتحي،أسامة،طارق.

إلى زهرة البيت صغيرتي:رحاب.

وإلى أختي التي لم تلد لي أمي:وداد شهرزاد

وإلى صديقتي العزيزة التي قاسمتني هذا العمل:فاطمة الزهراء.

وإلى كل أصدقائي وصديقاتي.

وإلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم هذه الورقة.

أسماء

المقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي قص علينا من آياته عجبا وأفادنا بتوفيقه إرشادا وأدبا وجعل القرآن هدى ورحمة وأرسل فينا رسولا كريما،نتوب إليه ونستغفره حمدا و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون للنجاة سببا وصلى الله على من أوضح به الأعلام حبيبنا وسيِدنا محمد عليه الصلاة والسَّلام.

ما أجمل الشِّعر! فلم يدع مكانا إلا وغمره فيتوغل ويرتبط بحياة الإنسان في أدق تفاصيلها،فيكشف المستخبي ويصور الداخلي، في أبيات تعبر في طياتها عن آلام وأفراح وغيرها.

فسواء كان الشاعر حرا أو سَّجينا فذلك لا يمنعه بالتعبير عما تزوله من أحزان وأحداث ،فلم يمنع بقاء السَّجين سَّجينًا أن يسكت صوته وهو الذي أراده اختيارا،بل إنَّه الإيمان بما في داخله برسالة الأديب،بالحرية،بكرامة الإنسان،تعبيرا عن مواصلة درب القلم والكتابة،وأنَّه لو بقي هو سَّجينا فلا داعي لأن تكون كلماته كذلك!.

فهي تلك القصائد التي نشأت في ظروف خاصة ،وكانت وليدة تجربة شديدة الخصوصية هي تجربة السِّجن،فكل ما ترفعه هذه التجربة من منع وحصار وقمع وتعذيب،تلك السُّطور التي أتتنا من داخل السُّجون هي موضوع دراستنا،ورأينا أن يكون الوسط الأندلسي له الحظ الوافر من هذه الدراسة.

فالسِّجن ؛المكان الذي تسلب فيه الحرية فقد كان هذا القدر حافزا لكي يخُطَ ويُبحر بين السُطور فتكون ملمة للعذاب الذي يعيشه وللآلام ،وللشوق والحنين،وبُعد الأقارب وشوقهم لهم وفيها نوع من الاستدراج للحكام لإطلاق سراحهم، فقد عانى السَّجين الأندلسي وما رأته من فتن ودسائس وأنواع الظلم والعذاب.

ولعَّل فضولنا لمعرفة هذه التجربة وما خلفته وراءها من تعبير عن شعور السَّجين وهو مسلوب الحرية،وكان دافعنا والسبب الأكبر لخضوع غمار هذا الموضوع؛هو معرفة هذا النوع الشِّعري الذي رغم ما وجده من عوائق إلا أنه نشأ وأتانا وأصبح فنا قائما بذاته،وكل تلك المعاناة للشعراء هذا الأدب هو ما زادنا تَمسكا بهذا الموضوع وحرصا على دَق أبواب الكتب والمجلات والمذكرات التي كتبت في هذا الموضوع،التي يمكن أن توصل إلى نافذة أو بصيص نور،وقد سَّمينا بحثنا بأدب السُّجون في الأندلس وتحديدا حول السِّجنيات في الأندلس واتخذنا ابن زيدون بحتري المغرب كشخصية نموذجية برزت في هذا الفن الأدبي وخِصيصا في الأندلس.

وكان هدفنا الأساسي من بحثنا هذا هو التوغل ومحاولة الإلمام بالموضوع من جوانب عدة ،فمهما كان كِبرها إلاَّ أنَّها تبقى ناقصة في حق معاناة هؤلاء الشعراء وهم داخل السِّجن من آهات وأيام تعسفية،وهدفنا الثاني والأساسي وهو العلم ومعرفة ما خبأته هذه التجربة الشِّعرية الرائعة.

وقد بنينا بحثنا هذا المتواضع على نهج تاريخي وصفي بذا جمعنا مجموعة من التأريخ والأوصاف التي تحدثت في هذا الموضوع وهذه التجربة المشوقة.

وقد أعددنا وقسمنا بحثنا هذا إلى تَرسَتِه الأولى وهي المقدمة:التي تحدثنا فيها عن أدب السُّجون والسُّجناء و وعن هدفنا وسببَنا الذي جعلنا نبحث في هذا الموضوع ،والعوائق وشكر، بالإضافة إلى الإشكالية التي نبدأ بها بحثنا.

أما الفصل الأول: تحت عنوان أدب السُّجون؛ فقد تحدثنا فيه عن تعريف المصطلح ومرادفاته في المعاجم اللُّغوية والقرآن الكريم،من تعريف لأدب السُّجون،وتعريف للفظة السِّجن في المعاجم والقواميس من تعريف لغوي واصطلاحي،ثم مرادفاتها من أسر وحبس واعتقال وأزل، صفق وقصر وديماس، ومخيس وجعجاع،وعناء،ومن ثم في القرآن الكريم منار

الهدى وسبيل التُقى،وهذا كله في مبحث أول،أما المبحث الثاني: فقد درسنا لمحة تاريخية من تطور مفهوم السِّجن وأوردنا بعض الأشعار عن ذلك ومن ثم مبحث ثالث:تحت عنوان شعر السُّجون في الأدب العربي القديم بدراسة في العصر الجاهلي ثم صدر الإسلام،ثم في العصر الأموي،ويليه العصر العباسي، وكذا العصر الأندلسي.

والفصل الثاني:عالجنا المواضيع العامة والخاصة للشِعر السُّجون في الأندلس كمبحثين اثنين حيث عالجنا في المبحث الأول: المواضيع العامة من حياة السَّجين،الحنين والشوق،آلام الغربة،ثم مبحث ثاني:المواضيع الخاصة من الشعور بالوحدة وخيبة الأمل،صورة الموت.

وفي الفصل الثالث: وتأتي دراستنا إلى أواخرها حيث جاء هذا الفصل بعنوان أدب السُّجون عند ابن زيدون في المبحث الأول؛الأدب الأندلسي وابن زيدون وهي علاقته به،ومن ثم المبحث الثاني؛ وهو سبب دخوله إلى السِّجن،ثم سِّجنياته وهي تسعة سِّجنيات مُقَدمة في المبحث الثالث.

ثم جاءت الفصول الثلاثة بخاتمة كسَقف للبناء كله تناولنا فيها أهم النتائج التي تَوصل إليها بحثنا مُلِمة به ،من مقدمة حتى الفصل الثالث ، ومن ثم الملحق الذي يحمل في طياته الحديث عن ابن زيدون بحتري المغرب من اسمه ونسبه ونشأته،ومنزلته وفاته وأعماله،ثم إلى قائمة تَبُث المصادر والمراجع التي كان لها دور في القعود ببحثنا هذا.

وفي الواقع إن مشكلتنا لم تكن ندرة البحث أو قلتها،وإنَّما كان سبيلنا إلى الوصول إليها هو المشكلة،وذلك من خلال خوف وحذر وتوجس الذي جعل الكثير من الباحثين لا يتقدمون في الحديث عن هذا الموضوع،وكذا أن مثل هذا العنوان فالكتب التي تحمله والدواوين والمؤلفات كلها توضع تحت خانة "الممنوع" مما استحال وصولها إلى مكتبات الأخرى،وكذا موضوعنا كان في القديم مما يتطلب الذهاب والسفر إلى الجامعات العربية الكبرى خارج الوطن كالقاهرة مما

يستحيل ذلك،ولكن إيماننا بالله عز وجلَ وحاجة البحث خُضْنا في هذا الموضوع وبَحَثنا فوجدنا كتب تاريخية تحمل في طَياتها مثل هذا الموضوع ومذكرات تناولت هذا الموضوع،ومجلات .....وغيرها.

وإن صبرَكَ أستاذنا المشرف؛ كان أكبر مُشجع لنا على استمرارنا ،إذ لم تطلب منا التراجع رغم صُعوبة الوصول إلى المادة ،وكُنْت مؤيدا لنا ضد اليأس،فصبرك ووقُوفك جنبَنا كظِلنا كان هو وَقودنَا إلى البحث والسعي وراء النُّصوص ولا اقتضاب البحث أو بتره،فكنت فضاءً واسعا من الحرية لنا فالشكر الأولىَ به بعد الله عز وجل هو شكرك أستاذنا الفاضل فقد كنت قدوة لنا في بحثنا وقبطان سَفينتنا.

وكأي بحث لا يخلوا من تساؤلات تعطيه بدايته وانطلاقته نطرح الإشكال :ما هو أدب السُّجون؟ أو بالأحرى ما هي لفظة السِّجن وما دلالتها؟ وما في تمثل أدب السُّجون؟ومن هو ابن زيدون بحتري المغرب؟وفي ما تمثلت سِّجنياته؟.

وفي الأخير ربنا لا تجعل قلوبنا خالية من ذكرك وإن سعينا فارحمنا واغفر لنا وإن نسينا أو أخطأنا ربنا لك الحمد في الأولى والآخرة ،وصلواتك الطيبات على سيدنا محمد عليه الصلاة والسّلام،وندعوك أن تجعلنا والمخلصين كذلك فمنك وحدك السداد والرشاد وعليك أنت الاعتماد.

وما توفيقنا إلا من الله عز وجل عليه توكلنا.

مدخل:

- لفظة الأندلس
- جغرافية الأندلس
- الأوضاع الاجتماعية
- الأوضاع الفكرية
- الأوضاع السياسية

المدخل

كان ولا يزال الشعر لغة القلم فقد خطت به أقلام عدة في جميع المجالات،فهذا مغرم وآخر مولع،وآخر مسجون بين جدران أسير سلبت منه حريته،فثمة علاقة وثيقة بين الأدب والنفس الإنسانية،فحياة الإنسان مركبة من الشعور واللاشعور.

فالشعر بالنسبة لشعراء السّجون يمثل تعزية النفس عن المصاب الذي حلَّ بهم،لذا تناولوا في التعبير عن واقع السّجن موضوعات متعددة دارت حول تجربة السّجن الرهيبة وحول واقعهم داخل هذه السّجون،وما يتركه في نفوسهم من آثار كانت سلبية في الغالب،وما وصلنا من ألوان في شعرهم توضح مدى قسوة التجربة التي عاشوها داخل السّجن ومدى تحملهم لدرجات متفاوتة من الجراح والآلام نتيجة للحياة الاجتماعية التي يعيشها والتجربة المريرة التي عاشها.

وكانت متجهة نحو الحكام وذوي النفوذ في الدولة الذين كان لهم السبب المباشر في سّجن،هؤلاء الشعراء،فالسّجن يكسر شوكة المسجون ويضعه في موقف الضعف دائما ،فيحس أن الدّهر قيد يديه ورجليه بثقل القيود.

فظاهرة شعر السّجون في الأندلس؛ظاهرة متعددة الجوانب تاريخية،حضارية،واجتماعية،ونفسية،مما يترتب عليها نتائج فنية،فشعر السّجون في الأندلس ينصب على دراسة نصوص شعرية تنتمي إلى عصور تاريخية مختلفة يجمع بينها مكان جغرافي "الأندلس"، ومكان الميلاد الذي هو"السّجن".

فقد كانت السجّون في العهد الأندلسي لا تراعي حال السّجين،فقد عان التعسف والمبالغة في العقاب وتجاوز مقدار العقوبة الملائمة،كما كان يقيد السّجين بالسلاسل،فقد عانى السّجين هول السّجن بكل ما تحمله لفظة المعاناة من معاني الألم والشقاء والعذاب.

إنّه لا يجدر بنا قبل الشروع في دراسة أدب السّجون في الأندلس أن نرتقي إلى دراسة جغرافية الأندلس،وقبل كل هذا أن نتوقف قليلا أمام كلمة الأندلس.

ـ لفظة الأندلس:

فهذا اللّفظ الأعجمي لم يعرف إلا بعد الإسلام حين أطلقه العرب على شبه جزيرة إيبيريا بعد فتحها وأصل هذا الاسم مشوب ببعض الغموض، شأنه في ذلك شأن الاسمين القديمين إيبيريا عند اليونان، وإسبانيا عند الرومان.[1]

وقد تكون هناك صلة بين هذا الاسم وبين اسم القبيلة الجرمانية "القندال"، وفي هذه الحالة يفترض أنّه مشتق من " القديم الذي احتله القندال baetica" وربما كانت صيغة قنداليا تطلق على إقليم بيتيقا "wandaliciaقنداليا " " الذي عبَر منه القندال إلى إفريقيا.traductaمايقرب عشرين سنة من 411 إلى 429 أو على ثغر ترادكتا "

وفي نفح الطيب للمقري وهو قريب مما عليه إجماع المحققين الآن"أول من سكن بالأندلس على قديم الأيام فيما نقله الأخباريون قوم يُعرفون بالأندلش.معجمة الشين.بهم سمي المكان،فعرب فيما بعد بالسين غير المعجمة،كانوا هم الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها على دين التجمس والإهمال ،والإفساد في الأرض،ثم أخذهم الله بذنوبهم...فهلك أكثرهم وهرب من قدر على الهرب،فأقفرت الأندلس منهم وبقيت خالية مائة سنة وبضع عشرة سنة".[2]

وكثيرا ما يطلق اسم الأندلس على جزيرة الأندلس والواقع أنّها شبه جزيرة لا جزيرة،وإنّما سميت جزيرة بالغلبة.[3]

وقد استعملت لفظة الأندلس معرفة بالألف واللام بخاصة في الشعر قديما ومن ذلك بيتا وجدناه مطروحا بالكتب قول الشاعر:

سألت القوم عن أنس فقالوا: بأندلس وأندلس بعيد[4]

وقول شوقي:

من لِنضوٍ يتنزّى ألما برّح الشوق به في الخّلس

---

[1]. دائرة المعارف الإسلامية،ج3،ص35.

[2]. المقري،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق د إحسان عباس،دار صادر، بيروت،1922،ج3،ص566.

[3]. ياقوت الحموي، معجم البلدان،تحقيق فريد عبد العزيز الجندي،دار الكتب العلمية،بيروت,1990،ج3،ص227..

[4]. عبد العزيز عتيق،الأدب العربي في الأندلس، دار الفكرية العربية.ص11.

حنّ للبان وناجى العلّما أين شرق الأرض من أندلس[1]

ـ جغرافية الأندلس:

وبعدما عرجنا عن لفظة الأندلس نأتي الآن حتى نبث جغرافية الأندلس بموجز حتى ندخل في الأوضاع السياسية والاجتماعية ، والثقافية، التي ساهمت في وجود أدب السّجون على أنّها ظاهرة لها تجلياتها وخصوصياتها، وهذا لما شاهدته الأندلس من فتن وثورات وحروب، وأحداث سياسية خطيرة.

فمن الناحية الجغرافية تقع بلاد الأندلس في الجنوب الغربي من أوروبا يحدها من الغرب المحيط الأطلسي، ومن الجنوب مضيق جبل طارق،وجزء من البحر المتوسط الذي يكتنفها ممتدا إلى شرقيها،أما في الشمال فتحدها فرنسا التي كان يطلق عليها العرب بلاد الفرنجة.

ويفصل بين شمال الأندلس وفرنسا سلسلة جبال البرت "البرانس"، وكانت تسمى بالجبل الحاجز أو باب الأندلس ولصعوبة مسلكه كان لا يرام ولا يمكّن أحد من الدخول منه أما عن وسط الأندلس كان يضم من المدن العظمى طليطلة،وقرطبة، وجيّان وغرناطة، والمريّة ،ومالقة،بالاضافة إلى القسم الغربي من الأندلس وأندلس شرقي،فالغربي ما تصب وديانه إلى البحر الكبير المعروف بالمحيط،والشرقي ما صبت في البحر الرومي المتوسط.

ونجد في وصف بعض المؤرخين لها بقوله :طول الأندلس ثلاثون يوما وعرضها تسعة أيام، ويشقها أربعون نهرا كبارا.

ومن هذا المنطلق وبعدم بحثنا في تاريخ الأندلس وبما أن موضوعنا يتحدث عن أدب السّجون في الأندلس فلا بد لنا أن نتكلم عن الأوضاع السياسية،والاجتماعية،والفكرية الثقافية،داخل الأندلس بكونها عوامل أو محيط ساهم في نشوء هذا الأدب وهو أدب السّجون.

ـ الأوضاع الاجتماعية:

وما نبدأ الكلام به هو المجتمع الأندلسي وعناصر الشعب فيه،والعناصر التي سادت الأندلس خمسة: العرب، البربر المولدون،وأهل الذِّمة من نصارى ويهود.

[1]: المرجع نفسه،ص،11.

فالعرب كانوا يحسون إحساسا قويا بنوع من الأرستقراطية نابع من غلبتهم على الإسبان ،والبربر وإدخالهم في الإسلام وكذلك من لغتهم التي تفوق غيرها، ومن ثم البربر وهم يشاركون العرب في البداوة والإسلام والشجاعة والعصبية القبلية.

الموالي ؛ وهو موالي بني أمية وهؤلاء يمثلون ثلاثة طوائف منهم من دخلوا الأندلس إبان الفتح، وبعد الفتح، وولاء البيت الأموي من أهل البلاد،وقد كان لهم اليد في إقامة دولة **عبد الرحمن** الداخل، ثم المولدون : وهم العنصر الناشئ من تزاوج العرب والبربر، وأهل الذِّمة ؛ وهم الإسبان الذين بقوا على مسيحيتهم ،ومن هنا فقد توالت على بلاد الأندلس موجات كثيرة من المهاجرين والمستعمرين ،منهم السَّلت والسبك، ومنهم الفينيقيون واليونان الذي احتلوا بعض سواحلها المطلة على البحر المتوسط،ثم جاءها الرومان ، ثم الجرمان، ثم القوط ثم العرب ثم البربر.[1]

ومن هذه العناصر كلها كان يتألف المجتمع الأندلسي،وهي عناصر متباعدة ،فمنها الآسيوي كالعرب، ومنها الإفريقي كالبربر،ومنها الأوروبي.[2]

لذلك كان المجتمع الأندلسي يتألف من مزيج حضاري غريب،فظهرت المتناقضات الواضحة ،فقد كان لرجال الدين وقار كبير وهيبة عظيمة،وكانت الحرية قائمة أيضا،وكان الترف شائعا في الطبقات الخاصة بأجلي صورة ولعلّ الصالون الأدبي لولادة بنت المستكفي دليل كاف على وصل إليه المجتمع من إدراك لحرية المرأة التي انعكست على علاقات النّاس جميعهم ، وقد انتشرت مجالس الأنس والغناء والموشحات التي كان يقصدها الشعراء والأدباء غيرهم فقد كان المجتمع الأندلسي يحب النظافة ويكره التسول،وقد كانت النِّساء يغلب عليهن الأناقة والبذخ والتفنن في الزينة وأشكال الحليّ.

ـ الأوضاع الفكرية:

وبعدما عرضنا في ما سبق حياة الأندلس الاجتماعية وتتمة للموضوع ،نعرض هنا حياة الأندلس الفكرية،بقصد التعرف إلى نشأة حركة العلوم والآداب والفنون في الأندلس،والجهود التي تضافرت على خلق هذه الحركة وتدعيمها والوسائل التي أدت إلى تنوعها وتطورها.

---

[1]: د,شوقي ضيف،ابن زيدون، دار المعارف، ط،11.1981،ص،55.

[2]: شاخت وبوزورث،تراث الإسلام ،ترجمة د حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد،مرجعة د فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت،1978،القسم الثالث،ص،143.

يعد عصر ملوك الطوائف من أزهى العصور العلمية والأدبية في بلاد الأندلس، إذ تنافس الحكام على جذب العلماء والأدباء، واقتناء الكتب، وانتشرت المكتبات العامة والخاصة، لذلك ازدهرت الحياة الفكرية بالرغم من انهيار الدولة السياسي،بانقسامها إلى دويلات صغيرة.

فقد شهدت العلوم بنوع بعدد من العلماء الذين كان لهم أثر عميق في تقدم العلم.

وفي مقدمتهم **أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى الزرقالي القرطبي** صاحب الجداول الفلكية الشهيرة وأكبر راصدي الفلك في زمانه.[1]

و**أبو القاسم ين السمح الغرناطي** الذي كان متحققا بالعدد والهندسة،ومن أبرز علماء هذا العصر العلامة **ابن عبد البرقرطبي** وله سير، وتراجم ،والتاريخ وغيرها،ومن الآداب اهتم ملوك الطوائف باستقطاب الكتّاب والشعراء.

فقد كان فيما يبدعونه ما يحقق للحكام انتشار الذكر والفخار، بل لقد كان من الملوك أنفسهم شعراء أماجد،مثل **بني عبّاد** ملوك اشبيلية ،وقد امتلأت القصور بالأدباء ومنها: بلاط بني عباد وبلاط في الأفطس، وبلاط بني صمادح.

فقد ضمت بلاد الأندلس شعراء من بينهم **أبا الوليد أحمد بن زيدون** أعظم شعرائها والشاعر الذكي **أبا بكر بن عمار،وابن اللّبانة، وابن وهبون**،وقد كانت الموشحات قد أخذت تزدهر وأغلب الشعراء مالوا إلى التعبير عن تجاربهم الفنية من خلال الأشكال القديمة للشعر العربي،**وكان أبو الوليد أحمد بن زيدون** أحد هؤلاء الشعراء.

وكانت هناك أيضا وسائل اتبعها أهل الأندلس حتى تزدهر بالعلم والمعرفة وتمثلت في دعوة بعض علماء المشارقة إلى الأندلس ليفيد أهله من علمهم وأدبهم،والوسيلة الثانية تتمثل في رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق، بالإضافة إلى جمع الكتب وإقامة المكتبات العامة يؤُمها الدارسون والباحثون،وكذلك الأمراء الأمويين وخلفائهم في الأندلس،ثم فيمن تلاهم من ملوك الطوائف والمرابطين والموحدِّين وبني الأحمر.

وكان الفضل لإمارة قرطبة في نهضة الأندلس الأدبية على يد **عبد الرحمن الداخل** ،فقد نمت آداب الأندلس وتطورت حتى بلغت ذروة كمالها،ثم بفنونها وألوانها وطابعها المشرق البهيج.

[1]: د زيجريد هونكه،شمس الله تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي،دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط8،1982،ص194.

ـ الأوضاع السياسية:

وخلافا للأوضاع الاجتماعية والفكرية في الأندلس نأتي الآن حتى نستهل الجزء المهم في مذكرتنا وهو الأوضاع السياسية في الأندلس؛فقد كانت السلطة العليا في مختلف العهود التي تعاقبت على حكم الأندلس بيد الأمير أو الخليفة،وقد اعتاد الأندلسيون والمشرقيون أيضا ألا يحكموا أنفسهم ، بل اعتادوا الاعتماد على رجل قوي حازم يحكمهم ويقودهم، وقد كان للأندلسيين خطط لتنظيم أعمال الحكم في البلاد تبدأ بالوزارة ،فالوزارة كانت قاعدتها في مدة بني أمية، كما كان هناك الحاجب ؛وهو مكان النائب المعروف بالوزير،ومن كل هذا فقد توالت على بلاد الأندلس موجات كثيرة من المهاجرين والمستعمرين،منهم الفينيقيون واليونان الذي احتلوا بعض سواحلها المطلة على البحر وقد شهدت الأندلس ثورات وحروب وفتن على السلطة فقد شهدت سقوط الدولة الأموية التي أنشأها عبد الرحمن الداخل بالأندلس،وتقطعت دولة الخلافة إلى دويلات وإمارات،فصار كل جزء لطائفة استقل كل زعيم منها بمملكة،فاستولى البربر على الجنوب، وأشهرهم بنو زيري في غرناطة واستولى الصقالبة على الشرق،وأشهرهم خيران الذي خلفه **بنو عبد العزيز** على مرسية ،وخلفه **بنو صمادح** على المرية ، وفي الشمال الشرقي كان بنو هود في سرقسطة وبنو رزين في السهلة،أما وسط الأندلس وغربها فكانا تحت سيطرة العرب والبربر والمولدين،فكان بنو جهور في قرطبة، وبنو عباد في اشبيلية، وبنو ذي النون في طليطلة، وبنو الأفطس في بطليوس ،وبذلك أصبحت الأندلس أندلسات كثيرة ودويلات صغيرة، وهي دويلات كان بعضها يناهض بعضا كما كانوا يناهضون أعداءهم من الجبلين المسيحيين في الشمال.

وقد انعكست تلك الأوضاع السياسية التي شادت الأندلس بشكل أو بآخر على حياة الشاعر، خاصة وقد ارتبطت مصائر بعض الشعراء والكتاب بمصائر بعض الخلفاء والأمراء في السراء والضراء ففي قلب تلك الفتن والدسائس والاغتيالات التي حدثت في تلك الفترة اضطربت حياة الشاعر، مما جعل الشاعر الأندلسي يفضل الخاص على العام من مصلحة،ومع كل هذا فقد كانت هناك أثار ايجابية من تلك الفتن والحروب من دراسات علمية وهندسية وفلكية.....وغيرها من الآداب والعلوم.

ومن كل ما تطرقنا له في مدخلنا هذا من أوضاع سياسية واجتماعية وفكرية كان لا بد منه حتى نستطيع إدراجها كعوامل ساعدت على ظهور أدب السُّجون بالأندلس، وكدراسة لما آلت إليه الأوضاع آنذاك.

الفصل الأول: أدب السُّجون

- المبحث الأول: تعريف المصطلح ومرادفاته في المعاجم اللُّغوية والقرآن الكريم

- المبحث الثاني: موضع تاريخي عن تطور السّجن

- المبحث الثالث: الأدب العربي وشعر السّجون

الفصل الأول:أدب السُّجون

أدب السُّجون؟ حقا هو موضوع أثار تساؤلاتنا،ودفعنا إلى الغوص في هذا الموضوع،فقد عرف هذا النوع الأدبي منذ القدم ، فلم يمنع بقاء السَّجين سجينا أن يبدع من حالته كلمات تلاقت فأبدعت فناً عن هذه الحالة،ووجود هذا الأدب منذ القدم دليل على أن وجود هذه الظاهرة بمميزاتها وخصائصها الفنية والإبداعية، ومن خلال تصفحنا لبعض الكتب والمذكرات التي سجلت في طياتها أدب السُّجون،تمثل لدينا أنَّه ظاهرة أدبية متميزة وبذا سمينا فصلنا هذا أدب السُّجون.

فلقد تناولنا في هذا الفصل:تحديد للمصطلح ومرادفاتها؛في المعاجم اللُّغوية وفي القرآن الكريم ولمحة تاريخية عن تطور هذا المفهوم،وشعر السُّجون في الأدب العربي القديم.

المبحث الأول:تعريف المصطلح ومرادفاته في المعاجم اللُّغوية والقرآن الكريم

1/تعريف أدب السُّجون:

أدب السُّجون مصطلح من العلوم والفنون والنثر والشعر والكتابة والرسائل،التي ألفت في السِّجن،"السِّجنيات هي تلك القصائد التي كتبها أصحابها خلف القضبان،مفردها السَّجينة"[1]

" السِّجنيات هي تلك القصائد التي كتبها أصحابها خلف القضبان،مفردها السَّجينة ،وهي كل قصيدة كتبها صاحبها في السِّجن، فيقولون سَّجينة **علي بن جهم** ،سجينة **المتنبي**، وقد تجاوز البعض في العصر الحديث واستخدام مصطلح السِّجنيات لكل أدب يكتب داخل السُّجون،سواء كان قصة أم رواية أم نصًّا أدبياً بصور معاناة صاحبه،وأشواقه وصراعات جوانحه".[2]

أدب السُّجون هو مصطلح أدبي يعبر الشاعر والأديب عن ما حوله وما في ضميره بأشعاره ونثره سواء كان في حبس البيت أو السِّجن أو غير ذاك من الحبس الذي لا يُحس الشاعر والأديب فيه بالحريَّة.[3]

---

[1]: ابن نجيم،زين الدين إبراهيم،البحر الرائق، دار الكتب العلمية،بيروت،1997م،ج،6،ص،475.

[2]:http:ar.wikipedia.org.wiki

3 :south African prison biterature,Johannesburg 1984,http,ar,wikipidea,org,wiki. ,Sheila Roberts

"ينقطع السَّجين عن العالم الخارجي،وينطوي على أحزانه فتتوالد عنده الهموم والآلام والحنين والأشواق،وتترجح نفسه بين الأمل والرجاء،وبين القنوط واليأس فيثبت ذالك في شعرهم معبرا عما يجيش في نفسه من جوانب عاطفية في قصائد الشعراء المساجين كثير من الإشارات التي تدل عل أحوال السّجون،وينذر وجود قصيدة خالصة في هذا الغرض،ومع ذلك يُعد وصف الحبس غرضا من أشهر أغراض أدب السّجون".[1]

قال أيضا:"ربما كان سبب ذلك طبيعة حياة السَّجين أو المأسور، تلك الحياة القلقة المضطربة حيث يعيش تحت هاجس الموت،ويتعرض للعذاب،فلا يعقل وهو على هذا الحال أن ينصرف إلى نظم القصائد الطويلة التي تتلاءم وعمود الشعر القديم،وقد يكون طبيعيا أن تنتج مثل هذه الحياة لونا من الفن السريع الذي يسجل فيه الشاعر ما يضطرب في نفسه من مقطوعات قصيرة موجزة وهي موافقة للخواطر والمشاعر التي تلم بالأسير أو السّجين،فيصوغها في أبيات موجزة معبرة واضحة الغرض؛توضح العبارات المذكورة ،تعريف أدب السُّجون من نواحي شتى".[2]

2/تحديد المصطلح في المعاجم والقواميس

1 ـ 2:التعريف اللُّغوي:

السِّجن مادة تواردت في المعاجم والقواميس بتعريفات متنَّوعة وبتسميات مختلفة ذات دلالات متعددة منها:السِّجن أي الحبس[3]،قال خليل بن أحمد الفراهيدي[4] السِّجن البيت الذي يحبس فيه السَّجين،فعيل من السِّجن ،واد في جهنم[5].

السِّجن أي الصلب الشديد من الشيء[6]،بمعنى الدائم والصلب الشديد[7].

---

[1]: واضح الصمد،السجون وأثرها في الأدب العربي،المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع،1995م،ص،214.

[2]:نفس المرجع،ص،26.

[3]: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر بيروت،ج،13،ص،203.

[4]: خليل بن أحمد:ولد في مدينة عمان من بطن فرهود سنة100 هـ ، لم يبرز الخليل في العلوم اللسانية (نحو,لغة,شعر) فحسب، بل كان له دراية واسعة بالعلوم الشرعية والعلوم الرياضية وأكثر من هذا كان بارعا في الموسيقى والنغم.أما مؤلفاته:النقط والشكل ،النغم,العروض،الشواهد،الإيقاع،الجمل،أنّه قد مات سنة170هـ،أنظر:مقدمة كتاب العين،مرتبة الهنداوي عبد الحميد،ج،1،ص، 9،10.

[5]: خليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين،مرتبة الهنداوي عبد الحميد،دار الكتب العلمية،بيروت،203،ج،2,ص،218.

[6]:ابن منظور،لسان العرب،دار صادر بيروت،ج.13،ص،203.

[7]:نفس المصدر،ص،203.

أمَّا السِّجن بفتح السين ؛فهو مصدر الفعل سّجن [1]،السِّجن بمعنى الحبس،وهو في اللُّغة المنع[2]،هذا في ما يخص التعريف اللُّغوي لمصطلح السِّجن.

2 ـ 2: التعريف الاصطلاحي:

السِّجن هو الموضع الذي تنفذ فيه الأحكام على الأشخاص المذنبين ،حيث يتم اعتقالهم لمدة معينة،أو مؤبدة أو لتنفيذ عقوبة الإعدام،والسُّجون غالبا أماكن حرجة ضيِّقة،وليس من لوازم السِّجن أو الحبس جعله في بنيان خاص،بل الربط بالشجرة حبس،والجعل في البيت حبس[3].

قال بطرس البستاني:"السِّجن أو الحبس هو المحبس، وهو مكان يحبس فيه الذين يحكم بارتكابهم الذنوب واقتراف الجرائم التي تستوجب السِّجن".[4]

3 ـ 2:من مرادفات لفظة السِّجن:

لم نشأ في بحثنا هذا أن نأتي بتحديد مصطلح السِّجن فقط بل رأينا أن نعرج عن تعريفٍ لمرادفات السِّجن،التي ذكرت في القواميس،والمعاجم اللُّغوية،والتي تداولت على ألسن الشعراء والكتاب،ومن بين هذه المصطلحات:**الأسر،الحبس،الاعتقال،الأزل،الاصفاق،القصر،الدِّيماس،المخيَّس،الجعجاع،العناء**.....وغيرها من المصطلحات والتي سنقوم بتعريفها كالآتي:

1:الأسر:

لا يخرج مفهوم كلمة الأسر في المعاجم العربية عن استعمالين:"الأوَّل من الإسار وهو القيد الذي يشد به الأسير،وأما الاستعمال الثاني فيمثل في نقل المعنى من التخصيص الذي هو القيد الذي من معانيه منع الحركة والحَّد من الحرية...إلى تعميمه على كل ما يشاركه في تلك المعاني،ليصبح الأسير كل أخيذ وإن لم يشَّد بالقيد".[5]

---

[1]: جبران مسعود،الرائد،دار العلم للملايين،1992م،ص،433.

[2]: الجوهري،تاج العروس وصحاح اللّغة العربية،دار الكتب العلمية،بيروت،1999م،مادة"سّجن".

[3]: ابن نجيم،زيد الدين إبراهيم،البحر الرائق،دار الكتب العلمية،بيروت،1997م،ج،6،ص،ف،475.

[4]: الرفاعي يوسف،السُّجون في مصر في عصر المملوكي،رسالة ماجستير،كلية الدراسات العليا الجامعية الأردنية،2009م،ص،17.

[5]: سكينة قدور،الحبسيات في الشعر العربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب واللُّغات،جامعة منتوري قسنطينة،2006م ـ 2007م،ص،21.

وعند الزبيدي كل محبوس في قدٍّ أو سجن:أسير...وقال مجاهد:"الأسير المسجون"[1] ويقول الفيروز الآبادي في القاموس المحيط :"الأسير:الأخيذ،والمقيد،والمسجون".[2]

وجاء في لسان العرب : الأسير الأخيذ، وكل محبوس في قدٍّ أو سِّجن أسير.[3]

2:الحبس:

"وردت مادة حبس بمشتقاتها المختلفة ودلالات متعددة ومتقاربة؛يقال حبسته حبسا،والحبس ما وقف،ويقال أحبست فرسا في سبيل الله،الحبس: المنع والإمساك،وهو ضد التخلية"[4]

وقال سيبويه المحبس،الموضع الذي يحبس فيه،وقال اللَّيث:المحبس يكون سجنا[5]،وهو ضد التخلية[6] ،والمحبس يكون سجنا ويكون فعلا كالحبس[7]،وقولهم اللِّص في الحبس والمحبس،واللُّصوص في المحابس.[8]

3:الاعتقال:

"جاء في لسان العرب:عقل البعير يعقله عقلا وعقله واعتقله ثنَ وظيفة مع ذراعه وشدهما جميعا في وسط الدراع وكذلك الناقة وذلك الحبل هو العقال،واعتقل لسانه:امتسك؛قال الأصمعي:مرض فلان فاعتقل لسانه إذ لم يقدر على الكلام ... واعتقل:حبس وعقله عن حاجته يعقله.

وعقله وتعقله واعتقله:حبسه،وعقل البعير ...والعقال:الرباط الذي يعقل به وجمعه عقل.

قال أبو أسعد ويقال عقل فلان فلانا وعكله إذ أقامه على إحدى رجليه،وكل عقل رفع..."[9]

---

[1]: الزبيدي،تاج العروس،دار الفكر،بيروت،ط 2،1976،مادة"أسر".

[2]: الفيروز آبادي،المحيط،دار الكتاب العربي،بيروت،1983م،مادة"أسر".

[3]: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط، 1،1971،مادة"أسر".

[4]: سكينة قدور،الحبسيات في الشعر العربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب واللُّغات،جامعة منتوري قسنطينة،2006م ـ 2007م،ص،18 ـ 19.

[5]: الزبيدي،تاج العروس،دار الفكر،بيروت،ط، 2،1976م،مادة"حبس".

[6]: الجوهري،تاج العروس وصحاح اللّغة العربية،والرازي،ومختار صحاح،مادة"حبس".

[7]: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط، 1،1997م،مادة"حبس".

[8]: الزمخشري،أساس البلاغة،تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا،دار المعرفة،بيروت،1982م،مادة"حبس".

[9]: سكينة قدور،الحبسيات في الشعر العربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب و اللُّغات،جامعة قسنطينة،م2006 ـ 2007م،ص،23.

3:الأزل:

جاء في لسان العرب:الأزل:الحبس وأزله يأزله أزلا:حبسه[1]،وقال الشيباني:أزلت الماشية والقوم أزلا ضيَّقت عليهم،وأزلت الإبل:حبست في المرعى.[2]

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي:الأزل شدة الزمان،يقال هم في أزل من العيش والسنة،وأزل من شدائد البلوى،أزلت الفرس أزلا،قصرت حبله ثم أرسلته في المرعى.[3]

"والأزل الشّدة،وضيق العيش والسّنة والشدائد والبلوى ".[4]

4:الاصفاق:

يقول ابن منظور:واصفقوا على كذا أي أطبقوا عليه....ويقال صفقهم من بلد إلى بلد أي أخرجهم منه قهرا وذلاّ.[5] وذلاّ.[5] وهنا بمعنى الحبس أو النفي أو التغريب.

5:القصر:

جاء في لسان العرب القصر هو الحبس،وكذلك قصارك وقصاراك وهو من معنى القصر،الحبس لأنك إذا بلغت الغاية حبستك.[6]

6:الدِّيماس:

قال ابن منظور:"دَّمس الظلام؛إذ اشتد ....كان لبعض الملوك حبس سَّماه دِّيماسا لظلمته.... والدِّيماس سِّجن الحَجَاج.... والمدَّمس:السِّجن.

---

[1]: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط،1.1997م،مادة"أزل".

[2]: ابن فارس،مقاييس اللّغة،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط،1981،3م،مادة"أزل".

[3]:الفراهيدي،كتاب العين،تحقيق مهدي المخزومي،مؤسسة دار الهجرة،إيران،ط، 2،1904م،مادة"أزل".

[4]: سكينة قدور،الحبسيات في الشعر العربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب و اللُّغات،جامعة قسنطينة،م2006 ـ 2007م،ص،23.

[5]: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط،1.1997م،مادة"صفق".

[6]: نفس المصدر،مادة"قصر".

وقد قال أبو زيد:دَّمسته في الأرض دّمسا إذ دفنته حيًّا كان أو ميتا.[1]

7:المخيَّس:

جاء في لسان العرب:خاس:ذلَّ والتخييس:التذليل ....ومنه المخيَّس وهو سِّجن كان بالعراق،قال ابن سيده:والمخيَّس السّجن لأنَّه يخيّس المحبوسين وهو موضع التذليل،وبه سميّ سّجن الحجاج مخيّسا،وقيل هو سّجن بالكوفة بناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،رضوان الله عليه.[2]

8:الجعجاع:

جاء في لسان العرب الجعجاع:المحبس، والجعجعة :الحبس[3],وورد في القاموس أن الجعجاع هو الموضع الضيق الخشن،والجعجاع الحبس والقعود على غير طمأنينة.[4]

9:العناء:

"العاني :الأسير ،يقال للأسير عنا يعنوا وعني يعنى إذ نشب في الإسار والعاني الخاضع المتذلل،وجئت إليك عانيا؛أي خاضعا كالأسير المرتهن بذنوبه والعنوة:القهر.

والعناء هو الحبس في شدة وذلّ:ومنه الحديث الشريف"فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض"،يقال:عني فيهم فلان أسيرا أي أقام فيهم على إساره واحتبس".[5]

3/في القرآن الكريم:

ما ورد في القرآن الكريم من لفظة السَّجن ومرادفاتها،إنَّما قد جاء في إطار قصصي لبعض الأنبياء،فهو إما واقع فعلي كما في قصة سيدنا يوسف عليه السّلام،أو تهديد من طاغي إلى رسول ومنه سيدنا موسى حين هدده

---

[1]: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط1.1997م،مادة"دَّمسَ".

[2]: نفس المصدر،مادة"خيَّس".

[3]: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،ج1.1997م،مادة"جعع".

[4]: الفيروز آبادي ،المحيط،دار الكتاب العربي،بيروت،1983م،مادة"جعع"،باب العين فصل الجيم.

[5]: سكينة قدور،الحبسيات في الشعر العربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب و اللُّغات،جامعة قسنطينة،2006م ـ 2007م،ص،23.

فرعون بالسِّجن.[1]

فالسّجن لم يذكر في القرآن الكريم على أنّه عقوبة لأية جريمة من الجرائم والقصاص،ولم ينصص عليه أساسا بل هو سرد لوقائع الأنبياء،والأكثر استعمالا لهذه اللفظة كان في قصة أو سورة سيدنا يوسف علية السّلام،وهذا ما نحن بصدد طرحه كالآتي في بحثنا هذا.

لقد ذكرت مادة سِّجن في القرآن الكريم في عدة مواضع باشتقاقات مختلفة:

- **يُسْجَنَ**:قال تعالى:"**ولقد همت به وهَم بِها لولا أنْ رأى برهانَ ربِّه وكذَلِكَ لنَصرفَ عنه السُوء إنَّه من عبادنا المخلصين واسْتبَقا الباب وقدَّت قميصَه من دُبُر وألفيا سيِّدها لدى الباب قالت ما جزاءَ من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يسْجَنَ أو عذابٌ أليم**"[2]
- **لَيُسْجَنَنَ**:قال تعالى:"**قالت فَذَلِكُنَ الذي لُمْتُنَنِي فيه ولقد راودته عن نَفسِه فاعتصمَ ولَئن لم يفعل ما آمره لَيُسْجَنَنَ وليكونَ من الصاغِرين**" [3]
- **لَيَسْجُنَنَ**:قال تعالى:"**ثم بدا لهمُ من بعد ما رأوا الآيَات لَيَسْجُنَنَه حتى حين**"[4]
- **السِّجن**:جاءت في خمسة مواضع في سورة يوسف

قالى تعالى:"**قال ربِّ السِّجن أحب إلَّي مما يدعونني إليه**"[5]،وقوله:"**وقد أحسَن بي إذ أخرجني من السِّجن وجَاء بكم من البَّدو**".[6]

وهنا يوسف عليه السّلام مثال الشخصية الأمينة العفيفة،فيفضل دخول السِّجن على معصية الله بارتكاب الفاحشة والرضوخ لأوامر زوجة العزيز،ويناجي الله ويدعوه في تضرع وخشوع،قال تعالى:"**ربِّ السِّجن أحَبُ إلي مما يدعونني**

---

[1]: مجموعة مؤلفين،السجون مزاياها وعيوبها من وجهة النظر الإصلاحية،المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب،الرياض،ط1401.2هـ ـ 1984 م،(أبحاث الندوة العلمية الأولى)،ص،93.

[2]: سورة يوسف،الآية،24 ـ 25.

[3]: سورة يوسف،الآية،32.

[4]: سورة يوسف،الآية،35.

[5]: سورة يوسف،الآية، 33.

[6]: سورة يوسف،الآية،36 ـ 39 ـ 42.

إليه"،كما يمثل الشخصية الناضجة المطمئنة الواثقة بنصر الله،الصابرة على قضائه ومما يروى عنه أنَّه عليه السلام كتب على باب السِّجن :"هذه منازل البلوى وقبور الأحياء،وتجربة الأصدقاء،وشماتة الأعداء".[1]

وفي قصة موسى عليه السّلام،فقد جاء السِّجن كتهديد من فرعون لموسى عليه السّلام،قال تعالى:"**قال لئِن اتخذت إلها غَيْري لأجعَلنَّك من المسجونين"**[2]

وقال تعالى:"**كلا إن كتابَ الفُجار لَفي سِّجين وما أدراك ما سِّجين كتابٌ الله مرقُومٌ"**[3]

" ويبدو أن ذكر السِّجن في القصص القرآني جاء من باب سرد الوقائع التاريخية،التي يستفاد منها أن السِّجن كان موجود كعقوبة أساسية ولكنه أقل من التعذيب بدليل قول امرأة العزيز "**إلا أن يسجن أو عذاب أليم**".

ويمكننا القول وإسناد إلى بعض التأويلات أن السِّجن من العقوبات البليغة لأنَّه قرنه مع العذاب الأليم في قوله تعالى:"**إلا أن يسجن أو عذاب أليم**".

وقد عد يوسف عليه السَّلام الانطلاق والخروج من السِّجن إحسانا إليه في قوله:"**وقد أحسن بي إذ أخرجني من السِّجن**".

هذا في ما يخص كلمة سّجن ودلالاتها القرآنية والسِّجن الطويل عذاب في قوله تعالى:"**لأجعلنك من المسجونين**"،"وذلك حين وعد فرعون موسى".[4]

أما عن مادة أسر فجاءت في عدة مواطن نذكرها:

- **أسرى:**في قوله تعالى:"**ما كان لِنبيٍ أن يكون له أَسرَى حتى يُثخِنَ في الأرض"**[5]،وقوله:"**يا أيها النَبِيُ قل لمن في أيديكم من الأَسرى"**[6]

---

[1] :بسيم عبد العظيم عبد القادر إبراهيم،شعر الأسر والسّجن في الأندلس،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1.1995م،ص10.

[2] : سورة الشعراء،الآية،29.

[3] : سورة المطففين،الآية،7 ـ 8ـ 9.

[4] : سكينة قدور،الحبسيات في الشعر العربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب و اللُّغات،جامعة قسنطينة،2006م ـ 2007م،ص،23.

[5] : سورة الأنفال،الآية،67.

[6] :سورة الأنفال،الآية،70.

- **أسارى:(جمع الجمع):"وإن يَأتوكم أُسَارى تُفادُوهم وهو محرم عليكم"**[1]

ومرة في حالة الإفراد:" **ويطعمون الطّعام على حُبِّه مسكينا ويتيما وأَسيرا"**[2]

وجاءت في صيغة فعلية مرة واحدة:"**وقذفَ في قلوبهم الرُّعب فريقا تقتلون وتَأْسرونَ فريقا"**[3]

أما عن "حبس" فوردت مرتين:الأولى في قوله تعالى:"**تَحبسونَهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارْتَبْتُم لا نَشتري به ثَمنا وَلو كانَ ذا قُربى ولا نكتُمُ شَهادةَ الله إنَّا إذا لمنْ الآثمينَ"**[4]،وهي في الشاهدين اللذين حضرا وصية الميت قبل وفاته يحسبان بعد الصلاة العصر،فيؤديان شهادتهما أمام جمهور المصلين،فإن بدت منهما ريبة حلفا بالله أنهما صادقان.[5]

والثانية في قوله تعالى:"**ولئن أخرجنا عنهم العذابَ إلى أمة معدودة ليَقولَنَ ما يَحْبسَه**".[6]والحبس في الآيات ليس معناه الحبس الذي يدور في فلك العقوبة،وإنَّما هو بمعنى الإيقاف فالقرآن لم ينص عليه في مجال العقوبات الجزائية.

وقد ورد في القرآن الكريم مفردات قريبة من السِّجن منها:"الإمساك" في قوله تعالى:" **واللاتي يأتين الفاحشة من نِسائِكمْ فاستشْهِدوا عليْهنَّ أَربعة منكُم فإن شهدُوا فأمسِكوهُنَّ في البيوتِ حتى يتوفاهُنَّ الموتُ أو يجعلَ الله لهنَّ سبيلا"**[7]،فقد كانت عقوبة الإمساك في البيوت في بداية الإسلام حكما على المرأة التي أثبتت زناها بالبينة العادلة.

وأشار القرآن الكريم إلى صورة عقابية قريبة من السِّجن والأسر هي النفي في قوله تعالى:"**إنّما جزاء الذين يُحاربونَ الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أَن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض"**[8],فالمراد بلفظة النفي هي إخراج المعني من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه.

---

[1]: سورة البقرة،الآية،85.

[2]: سورة الإنسان،الآية،8.

[3]: سورة الأحزاب،الآية،26.

[4]: سورة المائدة،الآية،106.

[5]: واضح الصمد،السُّجون وأثرها في الآداب العربية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1.1995م،ص،25.

[6]: سورة هود،الآية،8.

[7]: سورة النساء،الآية،15.

[8]: سورة المائدة،الآية،33.

كما جاءت في القرآن الكريم لفظة حصير؛قوله تعالى:"**وجعَلْنا جهنَّم للكافرينَ حصيرا**"[1].أي مستقرا وسجنا لا محيد لهم عنه[2].

ومن كل ما قدمناه يتضح لنا أن القرآن الكريم أتى بمصطلح السِّجن ومرادفاته في إطار القصصي القرآني لبعض الأنبياء،وليس في إطار الجزاءات العقابية.

[1]: سورة الإسراء،الآية،8.

[2]: واضح الصمد،السُّجون وأثرها في الآداب العربية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط،1.1995م،ص، 26.

المبحث الثاني: موضع تاريخي عن تطور مفهوم السّجن:

مفهوم السِّجن ليس بحديث النشأة بل موجود ومتعارف منذ القدم فقط تتغير صور وطريقة السِّجن،فكما وسبقنا الذكر أن مفهوم السّجن قد ورد في القرآن الكريم الحديثُ عن السّجن في تهديد فرعون مصر لسيدنا موسَّى عليه السَّلام.

وسِّجن يوسف وكيف راودته زوجة عزيز مصر عن نَفسِه، ثم أُتُّهم بالخيانة ففَضل عليه السلام السّجن على الرضوخ في هذه الفاحشة،فقد ذكر أنّه دخل السِّجن ولبث فيه بضع سنين.

ويتبين جليا أن هدف السِّجن في القديم كان فرديا انتقائيا ذو طابع مليء بالقسوة.

فقد كان السّجن يوضع في مكان ضيق مظلم مقَّيد بالسلاسل،فعلى سبيل المثال أبا يعقوب البويطي[1]الذي مات في السِّجن مقيدا إلى ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه.[2]

ويتجسد ذلك من خلال قول الشاعر جعفر بن علبة الحارثي إذ قال:[3]

وحراس سو ما ينامون حوله فكيف لمظلوم بحيلة محتال

ويصير فيه ذو الشجاعة والندى على الذل للمأمور والعلج والوالي

وقول إبراهيم الموصلي الذي سُجن بسبب شربه الخمر:[4]

ألا طال ليلي أراعي النجوم أعالج في الساق كبلا ثقيلا

بدار الهوان وشر الديار أسام بها الخسف صيرا جميلا

"فلقد كان السِّجن مكانا للحكم على السَّجين بعقوبات بدنية ونفسية على ما ارتكبه من الخطأ،أو ما اتهم به ظلما،إلا أن السّجن في العصر الإسلامي اختلفت عما كان عليه العصر الجاهلي،الأموي,العباسي.

---

[1]: أبي الفرج الأصفهاني،الأغاني،دار الفكر ،مكتبة الحياة،بيروت،1956م،ص،62.

[2]: المصدر نفسه،ص،62."سجن ببغداد وتوفي في السِّجن سنة 231 هـ."

[3]: المصدر نفسه،ج،1،ص،282.

[4]: المصدر نفسه،ج،5،ص،9.

إذ عرف الإسلام السِّجن بمعنى منع الحرية،وذلك بقصد إعاقة السَّجين ومنعه من التصرف بإرادته."[1]

وكان كل ذلك لإعاقة السَّجين وسلب إرادته من التصرف بذاته،كما لم يُعد مكان معين للسّجن في عهد الرّسول صلى الله علية وسلم، وأبي بكر رضي الله عنهّ،إذ كان العقوبة؛أي عقوبة السِّجن لا تتجاوز منع المتهم من الاختلاط بغيره وذلك بوضعه في مسجد أو بيت.

ويتضح ذلك من قول ابن القيّم الجوزية:"الحبس الشرعي ليس هو الحبس في مكان ضيِّق وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء أكان في بيت أو مسجد أو كان بتوكل الشخص أو وكيله عليه،وملازمته له."[2]

وليس معنى الأسر في الإسلام أن يوثق الأسير بوثاق،وإنّما هو الأسير المراقبة والملازمة،إذ يُمنع من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد بتوكل الخصام أو وكيله عليه وملازمته.[3]

وبالرغم من ارتداد كثير من العرب عن دينهم في عهد النبِّي والخليفة أبي بكر الصديق،إلا أنهما لم يتخذا مكانا مخصصا للسّجن،باعتبار أن السِّجن ليس عقوبة أساسية في التشريع الإسلامي إذ يوصف ذلك العهد،بأنه مجتمع بلا سُّجون.[4]

وفي عهد عمر بن الخطاب ثم تخصيص مكان لحبس الجناة والمتهمين في أمور الإسلام إذ اشترى عمر بن الخطاب من صفوان بن أمية دار بمكة بأربعة آلاف درهم،وجعلها حبسا.[5]

ويروى أن عمر ين الخطاب؛سّجن الشاعر الحطيئة بسبب هجاءه صبيغا التميمي عن سؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات.[6]

---

[1] :براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي ،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،11.

[2] :وهبة الزحيلي،الفقه الإسلامي وأدلته،دار الفكر،دمشق،ج،6:1984م،ص،509.

[3] :أبحاث الندوة العلمية الأولى،السّجون مزاياها وعيوبها من وجهة نظر علمية،المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب،ط،2.1984م،ص،102.

[4] :المرجع نفسه،ص،101.

[5] :وهبة الزحيلي،الفقه الإسلامي وأدلته،دار الفكر،دمشق،ج،6.1984م،ص،509.

[6] :أبحاث الندوة العلمية الأولى،السّجون مزاياها وعيوبها من وجهة نظر علمية،المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب،ط،2.1984م،ص،27.

وفي عهد عثمان بن عفان سّجن الخليفة ضابي بن الحارث،حتى مات في السِّجن.[1]

كما يروى أن الإمام علي بن أبي طالب قد بنى سِّجنا في الكوفة,واتخذ سّجنين سمى أحدهما نافعا ولم يكن حصينا,والآخر كان مخيَّسا وقد كان حصينا.[2]

ثم تعددت السُّجون بعد ذلك في خلافة علي ومعاوية وكان الإمام علي من لفت الأنظار في الإسلام إلى وجوب العناية بالمسّجونين[3]،ثم تولت هذه العناية بعد ذلك من جانب غيرهم من الخلفاء التابعين،إذ أجرى الإمام علي الطعام والكساء على سُّجناء العراق ومعاوية بن أبي سفيان على سُّجناء الشام.[4]

لم تعرف السُّجون لوائح وتوصيات بشأن نظام السُّجناء إلا في عهد عمر بن عبد العزيز.[5]ثم جاء بعده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة فوضع للخليفة هارون الرشيد نظاما مفصلا وأوصاه بتطبيقه.[6]

ومن كل هاته المعطيات يتجلى لنا أن الإسلام سبق في وضع أنظمة للسُّجناء حسب الشرع الإسلامي،والاهتمام بالجانب الإنساني للمسّجون.

لم يتم هذا الحال مع كل العصور العربية،بل هناك أنظمة شوهت صورة السِّجن واستعملت أفضع أنواع التعذيب،ففي العصر الأندلسي،إذ كانت السُّجون بصورة مناقضة للعصر الإسلامي،إذ لم تُراع حال السَّجين في هذا العصر،وعانى التعسف والمبالغة في العقاب،وتجاوز مقدار العقوبة،فقد كان السّجين يقيد بالسلاسل،عكس ما كان في العصر الإسلامي ،الذي كان لا يقيد حتى يؤدي عبادته،ولا في اللّيل حتى يستطيع النوم

فقد عانى السَّجين في العصر الأندلسي هول السّجن من ألم وشقاء وعذاب.وبذا نقول أن لفظة أو مفهوم السِّجن،مفهوم مُتشعب الأصول،ونحن بدأنا من العصر الإسلامي لأن معناه حد في هذه الفترة من الزمن كمعنى

---

[1]: المرجع نفسه،ص،27."كان من لصوص بني تميم وفتاكهم".

[2]: المرجع نفسه،ص،27.

[3]: المرجع نفسه،ص،28.

[4]: المرجع نفسه،ص،110.

[5]: أبحاث الندوة العلمية الأولى,السّجون مزاياها وعيوبها من وجهة نظر علمية،المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب،ط،2.1984م،ص،28.

[6]: المرجع نفسه،ص،107.

أخلاقي،فالسِّجن ظاهرة أدبية عُرفت كعقوبة وتطور هذا المفهوم إلى أن أصبحت له مرادفات وتداول بين الشعراء المسّاجين.

المبحث الثالث: الأدب العربي وشعر السُّجون :

عرف الأدب العربي عبر الأزمنة شعراء مسَّاجين وأخر أحرار،فتحفظ لنا كتب التاريخ والأدب قصائد لشعراء ذاقوا مرارة السّجون،وهو شعر حَمَلَ وعَكَس معظم مراحل التاريخ العربي لوجه مستبد لبعض الخلفاء والأمراء،وأكثر ما جذبنا إلى هذه الدراسة هو ما وجدناه من نصوص في هذا المجال في الأدب العربي القديم ؛في مجال الشِّعر وقد يعود الفصل لسهولة حِفظه وروايته من أسباب ذلك.

1/في العصر الجاهلي:

يقول جواد علي:"كان لملوك الحيرة سُّجون ومنها سّجن الصنين،وقد أشير إليه في الشعر الجاهلي،ولا بد أن يكون لهم موظفون أودعوا إليهم مهمة المحافظة على السُّجون ومراقبة المسَّاجين حتى لا يهربوا ووكلوا إليهم أمر تعذيبهم وقتلهم أوسَمهم عند صدور أمر الملك بذلك كما فعلوا بَعُدَّي بن يزيد العبادي."[1]

فمن شعره الذي نّظمه في السِّجن،قصيدة شكوى يرفعها للنعمان مبرئا نفسه من تهم الوشاة ومؤكدا إخلاصه للملك،ويقول فيها:[2]

ألا من مبلغ النعمان عني وقد تهوى النصيحة بالمغيب

أحظى كان مشكلة وقيدا وغلا والبيان لدى الطبيب

أتلك بأنني قد طال حبسي ولم تسأم بمسّجون حريب

وبيتي مقفر الأحياء فيه أرامل قد هلكن من نحيب

ويقول في وصف زيارته لأمه إياه بالسِّجن متأثرا ومتأسيا:[3]

ولقد ساء في زيارة ذي حبيب بودنا مشتاق

---

[1]. جواد علي،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،دار العلم للملايين،بيروت،ومكتبة النهضة ،بغداد،ط.2.1978م،ص.293.

[2]. تولى المناصب الرفيعة في البلاط الأكاسرة ثم المناذرة،استوزره الملك النعمان،ثم اعتقله وسّجنه ثم قتله،توفي سنة590م.

انظر:رئيف خوري،حصاد السّجن،المقدم أحمد الصافي النجفي،دار العلم للملايين،بيروت،ط.2.1961م،ص،14.

[3]. رئيف خوري،حصاد السّجن،المقدم أحمد الصافي النجفي،دار العلم للملايين،بيروت،ط.2.1961م،ص،14.:

ساءه ما بنا تبين في الأيدي وأشناقها إلى الأعناق

فاذهبي يا أميم إن يشأ الله بنفس من أرم هذا الخناق

وعنترة العبسي,الشاعر البطل الجاهلي،كان ابن أمية أسود اللّون، لم يرغب عمه تزويجه عبلة ،لذلك اشترط عليه،أن يقدم له مهرا من النوق العصافيرية التي لا تتوفر إلا عند المناذرة في الحيرة،لذا اضطر أن يخوض حربا خاسرة،فقبض عليه وأودع السِّجن فقال:[1]

ترى علمت عبيلة ما ألاقي من الأهوال في أرض العراق

طغاني بالرّيا والمكر عمي وجار عليّ في طلب الصِّداق

ثم أن الملك المنذر،أمر عنترة أن يبارز أسدا،وهو مقيد الرجلين،وأعطاه سيفا،فقبض على الأسد وأطلق سراحه وفي ذلك يقول:[2]

قطعت وريده بالسيف جزرا وعدت إليه أحجل في وثاقي

كما قبض على الشاعر الفتى طرفة بن العبد،بأمر من الملك عمرو بن هند،وأودع السِّجن وأبى العامل أن يقتله لصلة قرابة تربطه به.

ومما قاله طرفة في السِّجن:[3]

ألا اعتزليني اليوم يا خولة وأغضي فقد نزلت حدباء محكمة العضّ

أبا منذر كانت غرورا صحيفتي ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضي

---

[1] :واضح الصمد،السُّجون وأثرها في الآداب العربية ،من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط،1, 1415هـ،1995م،ص،16.

[2] :الصدر نفسه،ص،16،17.

[3] : واضح الصمد،السُّجون وأثرها في الآداب العربية ،من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط،1, 1415هـ،1995م،ص،17.

وورد أن سعيدا بن العاص[1] قدم الشام في تجارة فحبسه عمرو بن جفنة لأجل عثمان بن الحارث فقال سعيد في ذلك:[2]

يا راكبي أما عرضت فبلغت لقومي يزيدا

عثمان أو عفان أو أبلغ مغلغلة أسيدا

فلأمدحن المادحين بمدحة تأتي شرودا

فاجتمع رأي بني عبد الشمس على أن يفتدوا(سعيد بن العاص) فجمعوا مالا كثيرا افتدوه به ،ومات هشام في الحبس[3] .

2/في صدر الإسلام:

ففي صدر الإسلام سَّجن الخليفة عمر بن الخطاب الشاعر الحطيئة تأديبا له على هجاءه النّاس فمما قاله في السِّجن:[4]

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

أهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داويه يعمي بها الخبر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

وفي عهد خلافة عثمان ين عفان سّجن الخليفة الشاعر ضابي بن الحارث البرجمي وبقي في السّجن حتى مات،وشعره الذي نظمه في السّجن عبارة عن نفخة حنين ومشاعر متأسية تجسد مرارة الوحدة والغربة يقول:[5]

---

[1]: جاهلي،توفي قبل الإسلام.

[2]: واضح الصمد،السُّجون وأثرها في الآداب العربية،من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط1, 1415هـ،1995م،ص،18.

[3]: المصدر نفسه،ص،18.

[4]: رئيف خوري،حصاد السّجن،المقدم أحمد الصافي النجفي،دار العلم للملايين،بيروت،ط2.1961م،ص،19.

[5]: وهيب طنوس،الوطن في الشعر العربي،مديرية الكتب والمطبوعات،1979م،ص،27.

من يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيارها لغريب

وما عجلات الطير تدنى من الفتى رشادا ولا عن ريثهن يخيب

3:في العصر الأموي:

نجد شعراء وما أكثرهم في هذا العصر دخلوا السِّجن ؛ونذكر منهم الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري فمن شعره الذي نظمه بالسّجن قصيدة قالها بسّجن عبيد الله بالبصرة ومنها قوله:[1]

دار سلمى بالخبث ذي الأطلال كيف نوم الأسير ذي الأغلال

أين مني السّلام من بعد نأي فارجعي لي تحيتي وسلامي

أين لا أين خبتي وسلاحي ومطايا سيرتها لارتحالي

ويحاول الشاعر التخفيف من وطأة السّجن على نفسه،بالتذكير بعذاب الآخرة ومواساة نفسه بنوع من التحدي بأن ما نظمه في هجاء خصومه باق وخالد،ومن ذلك قال:[2]

أيها الملك المرهب بالقتل بلغت النكال كل النكال

فاخش نارا تشوي الوجوه ويوما يقذف النّاس بالدواهي الثقال

قد تعديت في القصاص وأدركت ذخولا لمعشر أقتال

وكسرت السين الصحيحة مني لا تذلني فمنكر إذلالي

وقرنتم مع الخنازير هرا ويميني مغلولة وشمالي

وأطلتم مع العقوبة سِّجنا فكم السِّجن؟ومتى إرسالي

---

[1] :اتصل"بعباد بن زياد بن أبيه"،والي سجتان وتوطدت العلاقة زمنا ثم ساءت وانتهت بهجاء"عباد"وسّجن الشاعر،أصله من اليمن،توفي بالموصل سنة 69 هـ.
انظر: رئيف خوري،حصاد السّجن،المقدم أحمد الصافي النجفي،دار العلم للملايين،بيروت،ط2.1961م،ص،26.

[2] : رئيف خوري،حصاد السّجن،المقدم أحمد الصافي النجفي،دار العلم للملايين،بيروت،ط2.1961م،ص،27،28.

وفي أواخر العصر الأموي يظلم الشاعر عبد الله بن معاوية بن أبي طالب وهو فارس أموي،حاربه أبو مسلم الخرساني لعدم اعترافه بالسلطة العباسية،بعد سقوط الدولة الأموية،فألقي عليه القبض وزج به السّجن ثم قتل[1].

زمن شعره بالسّجن ما جاء في وصف حياة السّجين في قصيدة منها قوله:[2]

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا دخل السّجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا إذ نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

طوى دوننا الأخبار سِّجن ممنع له حارس تهدا العيون ولا يهدا

4:في العصر العباسي:

ومن شعراء العباسيين الذين سُّجنوا وذاقوا مرارة السّجن،فلم يزدهم الحبس إلا عنادا وتصلبا نذكر الشاعر علي بن الجهم البغدادي اتصل بالخليفة المتوكل،ثم نفره فحبسه[3]

وفي سّجنه قال شعرا يفور تحديا وتصلبا إذ يصور نفسه فيه سيغالا يغمد وليثا يربض بعرينه، والسّجن في نظره ليس شراكله،بل فيه خير لا يعرفه إلا من ابتلى به،والبدر لا يتجدد إلا أنَّه يختفي،لذا فالسِّجن عنده مدعاة فخر لمن لم يقترف الدنايا،وبيت يزار فيه نازله زلا يزور ويتمثل لناكل هذا في قوله:[4]

قالوا حبست قلت ليس بضائري حبسي وأي مهند لا يغمد

---

[1]. المصدر نفسه،ص،32،33.

[2]. المصدر نفسه،ص،33.

[3] .أبي الفرج الأصفهاني،الأغاني،دار الفكر مكتبة الحياة،بيروت،1956م،ص،215،218.

[4]. المصدر نفسه،ص،221،222.

ومع هذه الأمثلة كلها، لم يشتهر شاعر عربي في مجال السّجن والنفي،ونظم فيهما شعرا كشهرة أبي فراس الحمداني فديوانه زاخر بميراثه التي بث فيها معاناة الأسر والسّجن وشعوره الحد بالغربة والوحدة[1]

أسر الروم أبا فراس حين كان عائدا من الصيد مع حاشيته،فنقل إلى خرشنة ثم إلى القسطنطينية،وتباطأ سيف الدولة في افتدائه،فشق ذلك عليه.

فأخذ يبعث إليه قصائد استعطاف ويستحق والدته على الصبر،ومما قاله:[2]

مصابي جليل والعزاء جميل وظني بان الله سوف يديل

جراح تحاماها الأساة مخافة وسقمان باد منهما ودخيل

واسر أقاسيه وليل نجومه أدى كل شيء غيرهن يزول

تطول بي الساعات وهي قصيرة وفي كل دهر لا يسرك طول

والشاعر عندما يخلو إلى نفسه بين جدران سّجنه يتأمل حاله ومآله يقول شعرا رقيقا يأسر النفوس،ولعلا أحسن مثال على ذلك مقطوعة من قصيدة مخاطبة الحمامة:[3]

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا هل تشعرين بحالي

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي

أيضحك مأسور,وتبكي طليقة ويسكت محزون,ويندب سالي

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الحوادث فال

5:في العصر الأندلسي:

[1] : براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس،رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،15.

[2]: فؤاد أفرام البستاني،أبو فراس الحمداني،دار المشرق،بيروت،ص،438.

[3]: فؤاد أفرام البستاني،أبو فراس الحمداني،دار المشرق،بيروت ،ص،221،222.

نأتي إلى أهم عنصر في بحثنا وهو شعر السُّجون في الأندلس فنجد شعراء كثر تعرضوا لهذه الظاهرة وذلك يعود لأسباب عدة أهمها السبب السياسي وما شهدته من فتن ودسائس،ومن بين هؤلاء الشعراء نذكر على سبيل التمثيل؛الشاعر الشريف الطليق[1] الذي لبث في السِجن سنين طويلة،وهو سليل الأسرة الأموية الحاكمة في الأندلس فسجن وهو ابن ست عشرة سنة،وقد سُجن في مدينة الزهراء قرب قرطبة وهو سِّجن تحت الأرض يقول:[2]

في منزل كاللّيل أسود فاحم داجي النواحي مظلم الأثباج

يسود والزهراء تشرق حوله كالحبر أودع في داوة العاج

ومن الشعراء الذين كان في سلوكهم الكثير من الجرأة والاستهتار الشاعر يوسف بن هارن الرمادي إذ دفعه ذلك السلوك الكثير إلى انتقاد الخليفة الحكم المستنصر فقال:[3]

يُولى ويعزل من يومه فلا ذا يُتم ولا ذا يتم

ثم أرسل إلى لولي العهد هشام بن الحكم مستشفعا به إلى أبيه في إطلاق سراحه:

على كبري تهمي السحاب وتذرف ومن جزعي تبكي الحمام وتهتف

كأن السحاب الواكفات غواسلي وتلك على فقدي نوائح هتَّف

ألا ظعنت ليلى وبأن قطينها ولكنني باق فلوموا وعنَّفوا

وآنست في وجه الصباح لبينها نحولا كأن الصبح مثلي مدنف

وأيضا الشاعر الرمادي[4] في سِّجنه قوله:[5]

أعيني إن كانت لدمعك فضله تثبت صبري ساعة فتدفقي

---

[1]: هو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر،أبو عبد الملك ولد سنة 350هـ كان أديبا شاعرا مكثرا وأكثر شعره في السِّجن،توفي سنة400 هـ.

[2]: يونس هاشم مجيد،معاني شعر السّجون، ص,734.

[3]: يونس هاشم مجيد،معاني شعر السُّجون،ص،735.

[4]: الرمادي:من شعراء القرن الرابع الهجري،كان في سلوكه الكثير من الجرأة والاستهتار ،سجنه الخليفة المستنصر ثم أطلق سراحه،كان شاعر أهل الأندلس،والمقدم على الشعراء،توفي سنة403.

[5]: يونس هاشم مجيد،معاني شعر السُّجون،ص،735.

فلو ساعدت قالت:أمن قلة الأسى تبقت دموعي أم من البحر تستقي

وقالت:تظن الدهر يجمع بيننا؟ فقلت لها:من لي بظن محقق

ولكنني فيما زجرت بمقتلي زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق

فالشاعر يخاطب عينه بأن تمده بما بقي من دمع حتى تثبته على الصبر.

الفصل الأول: أدب السّجون

- المبحث الأول: تعريف المصطلح ومرادفاته في المعاجم اللّغوية والقرآن الكريم

- المبحث الثاني: موضع تاريخي عن تطور السّجن

- المبحث الثالث: الأدب العربي وشعر السّجون

الفصل الثاني:مواضيع شعر السُّجون في الأندلس

إن موضوعنا ومذكرتنا هذه كانت تدور حول شعر السُّجون في الأندلس،وكما وسبَق أن تحدثنا عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية والتي كان لها دافعا في نشوء هذا النوع من الأدب،وفي أحضان هذه الظروف تمخضَّ وظهر هذا النوع الأدبي معبرا عما يجول داخل السِّجن من آلام وأحداث وغيرها،ومن هذا المنطلق ارتأينا إلى أن تكون دراستنا حول المواضيع العامة والخاصة في شعر السُّجون الأندلسي.

المبحث الأول: المواضيع العامة في شعر السُّجون الأندلسي

الشاعر الأندلسي يعيش حياة قاسية في السِّجن,حيث قعدَ فيها إنسانيته من أجل المعاناة اليومية،فقد عاش في زاوية مظلمة حاول اختراق حدودها بممارسة الكتابة الشعرية عبر الخيال والحلم،واستطاع من خلالهما الاعتناق من السِّجن وتحقيق ما عجز عن تحقيقه من قَبْلُ فتنوعت بذلك الأغراض الشعرية وفجر فيها عواطفه،لذلك نجد في شعره ألم الشكوى وحرقة الأنين.

1/حياة السَّجين:

من أهم الموضوعات التي غلبت على شعر السُّجون في الأندلس وصف الحياة اليومية،لقد تمثلت الحياة في السِّجن في صورة حالة موت بطيء متجددة بتجدد وحشة الأيام،وبفعل المعاناة المستمرة انصهرت ذات الشاعر المنكسرة في مشاعر الحيرة والقلق،والخوف فمالت بذلك أكثر إلى موضوعات الحرمان والبؤس،والهوان التي فرضها عليه السِّجن ورغم أن نظرة الشاعر إلى هذه الموضوعات قد اختلفت،إلا أنها تتفق في رسم ملامح القسوة والوحشية.[1] ويتبين لنا ذلك في قصيدة الشاعر أبو زكريا يحي بن هذيل؛الذي رسم صورة حية عن حياته في السِّجن تعكس مدى مأساوية حاضره الذي يتلخص في آهات وأنات من معه في السِّجن فقال:[2]

لقَد بعُدت عنِي ديار قريبة عجبت لجار الجنب وهُو غرِيبٌ

[1] : براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس،رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،83.

[2] : أحمد بن محمد المقري،نفح الطيب،حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة،مصر،ج،8،ط،1.1948م،ص،8.

أعاشوا أقواما تقر نفوسه فللهم فيها عند ذاك ضروبُ

إذا شعروا من جارهم يتأوه أجابتهم منهم زفرة ونحي

فلا ذاك يشكوهم هذا تأسفا لكل امرئ مما دهاه نصيب

فتظهر لنا في هذه الأبيات معالم الحياة المثقلة بالألم والمعاناة والوجع.

وكذلك الشاعر أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك يصف ما آلت إليه حالته في السِّجن من ذلٍ وانكسار وبؤس إذ يقول:[1]

فمن رأى شاعرا في السِّجن مطرحا في ظلمة وهو في البهتان مظلوم

وفي بيت آخر يقول:[2]

أمسي وحولي رجال في الكبول وهم مقرنون بأصفاد وأغلال

كم قائل لي أثوابي مدنسة وقد غدوت مذالا مثل أذيال

إنه يعيش مع رجال مثله مكبلين بالحديد،لا ينزع منعم ليلا ونهارا حتى تآكلت ملابسهم وتمزقت من كثرة التواء القيود الحديدية عليها فأصبح معهم في حالة مزرية،يشتد وقعها على نفس الشاعر،حين يتعجب من معه من السُّجناء مما أل إليه صاحبهم من ذلة وهوان بعدما كان ينعم بشعره،وكيف يحظى الشاعر من جهة بمكانة سامية عند الملك،ومن جهة أخرى يكون مصيره محزنا على يده،بسِّجنه وتعذيبه وتفريغه من كل معاني الحياة الكريمة.[3]

---

[1]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق4،ج1،ص373،374.

[2]:المصدر نفسه،ص378.

[3] براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي ،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص، 84.

وها هو الشاعر المغلول في لمسات تزيد تأثيرا في النفوس نتيجة للحظات من التأمل في وضعية السَّجين،فهو يَنظر إلى حاله مغلول،مُقيَد,فتأسى لذلك وهذا ما جاء به ابن عمار في قوله:[1]

وانجذب في صلاصل الرعد تحكي ضجتي في سلاسلي وقيودي

وأنا اليوم تحت ظل عقاب لقوة مخوت الجناح صيود

فشعوره بالعجز وضُعفه حتى درجة انقياده وتنبيله،فلم يعد أمامه إلا الاستسلام لقيوده لدرجة عدم التحكم فيها من شدة ثقلها عليه،وهي معاناة أخرسته وأسمعت صوت القيود والسلاسل،فعكست صوتا الأنين والألم من داخل الشاعر.

فنجد الشاعر قد فتش عن صورة أخرى تعكس بعمق وشدة هول العذاب الذي يعانيه يوميا في السِّجن،فوجد نفسه في تلك الحالة فريسة منهارة القوى جاثما عليها عقاب رهيب،ليعكس صورة الشاعر منصهرة في عمق الجزع والهوان,فتتمثل الصورة المرهبة الفتاكة.

ويجسد لنا الشاعر ابن عمار هول المكان الذي سَّجنه فيه وما يحدثه في النفس من فزع وخوف في رسالة شعرية إلى صديقه أبي الفضل بن حسداي الشاعر،يستزيره في معتقله من حصن شقورة ويصف له بعض ما هو عليه.

إذ قال:[2]

أدرك أخاك ولو بقافية كاطل يوقظ نائم الزهر

فلقد تقادت الركاب به في غير موماة ولا بحر

طفحت صحابته بلا سنة وتمايلت سكرا بلا خمر

وحش تناكرت الوجوه بلا سنة حتى استربت بصفحة البدر

[1]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق،4،ج،1،ص،378.

[2]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق، 2،ج،1،ص،401.

متجبر سال الوقار على عطيفه من كبر ومن كبر

لقد خيل الشاعر أن الحصن وحش تعالى بقوته إلى صفحة البدر،متسلطا عليه,وهو في قاع الذل والمهانة،صورة الظلام هنا هو الهرم الذي يخشى منه حالة اليأس المطبق،لقد استغرقت الصورة وصف الحصن أبياتا،مما بين أن الشاعر متوحش.[1]

فهو يتذكر بحالته وواقعه نهاية مطافه مع نفسه،حين افتقد كل أنواع الرجاء والخلاص فكانت صورة الوحش تطالعه بصور الرعب والفاجعة المطبقة عليه.

فالوحش والبدر العالي والجن المارد كل هذا تجسيدا لأحوال في نفس الشاعر.فكل هذا كان تعبيرا عن حياة السَّجين داخل السِّجن وهو يعيش عيشةً مريرة وقاسية تحمل في طياتها كل أنواع العذاب.

2/الحنين والشوق:

إنه لشعور يعشه السَّجين،وأصعب شعور بعد الألم والتعذيب هو الشعور بحرقة الفراق،والحنين في الشعر الأندلسي ظاهرة شاملة تتكرر في هذا الشعر وسِمة عامة اتسم بها.قال الشاعر ابن عمار:[2]

دعوت لما عيل صبري فهل يسمع دعواي المليك الحليم

مولاي مولاي ألا عطفة تذهب عني بالعذاب الأليم

وكيف يسلو الشاعر السَّجين همه ويأسو جرحه وقد فقد هناك كل ما كان ينعم بحياته مع أهله وأحبته وقومه،وهناك مرابع عبثه ولهوه ومدارج طفولته وأحلامه،وبلهفة بالغة على رؤية الأحبة يناجي الشاعر ابن شهيد حبيبته،بعد أن طواها عن عيونه الزمن المفرق،مسقطا لوعة الشوق في محاورة الحمام إذ قال:[3]

وقلت لصداح الحمام وقد بكى على القصر إلفا والدموع تجود

---

[1]: عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار العرب،تحقيق سعيد العريان،منشورات الأزهر،مصر،ص،188.

[2]: أحمد بن محمد المقري،نفح الطيب،حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة،مصر،ج،3.59 ،ط،1.1948م،ص

[3]: charles bellat.43،44،ص،1963.1م،ديوان ابن شهيد،دار المكشوف،بيروت،ط

ألا أيها الباكي على من تحبه كلانا معنى بالخلاء فريد

وما زال يبكيني وأبكيه جاهدا وللشوق من دون الضلوع وقود

إلى أن بكى الجدار من طول شجونا وأجهش باب جانباه حديد

تقول التي من بيتها كف مركبي أقربك دان أم نواك بعيد

أما الشاعر المعتمد بن عباد فسعير شوقه إلى أهله لم يخب،وجذوة حنينه إلى أهله لم ينطفئ،وأنى للمرء أن ينسلخ من أسر أشجانه وينقلب من قيد ألامه، ومن شدة وطأة الشوق والحنين على نفس المعتمد بن عباد وتعلقه بمن يحبهم,جعله يعيش معهم باستمرار عن طريق التذكر وجعله يراهم في كل شيء أمامه،فحتى سرب القطا الذي مر عليه في موضع اعتقاله ذكره بأهله,إذ قال:[1]

هنيئا لها إذا لم يفرق جميعها ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل

ألا عصم الله القطا في فراخها فإن فراخي قد خانها الماء والظل

ولكن هؤلاء الأحبة والأنل وما كان أغلاهم على قلب السَّجين المعذب ما كانوا يدانون في منزلتهم حبيبا هفت إليه النفوس،وبكت غيابه القلوب,إنه؛الأم الحنون والتي من فرط الجوى،تصل ليلها بنارها باكية واحد من أهم الشعراء الذين تأثروا بلوعة وحرقة الأم وخلدوا آثار الفراق عليهم في قصائدهم،الشاعر ابن زيدون الذي ناجى والدته المكلومة من أجل وحيدها المرزأ فقال:[2]

أمقتولة الأجفان مالك والها أ لم ترك الأيام نجما هوى قلبي

أقلبي بكاء لست أول حرة طوت بالأسى كشحا على مضمض الثكل

وفي أم موسى عبرة إذ رمت به إلى اليم في التابوت فاعتبري واسلي

[1] : ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق، 2،ج،1،ص،71.

[2]: علي عبد العظيم،ديوان ابن زيدون،ورسائله،مكتبة النهضة،بالفجالة ،مصر،ص،264.

ولله فينا علم غيب وحسبنا به عند جور الدهر من حكم عدل

فالشاعر يعاني مرارة الفراق,ويكابد لواعج الحنين،فكم أرقه أمه وشغلت عينه بالدموع عند لذيذ المنام،ومما لا شك فيه أن الشوق إلى الأم في شعر السُّجون العربي؛كما هو الشأن في بعض روميات أبي فراس،موضوع اقتضته غربة السِّجن ,وما اتسمت به من فراق وحنين وضياع،بحث كان بالألأم عن نزوع النفس المعذبة القلقة إلى الطمأنينة وراحة العودة.[1]

والشاعر الأب لا يعيش فقط مشاعر الشوق إلى أولاده بل يعيش آلاما ممضة نتيجة الفراق،وهو لا يعيش آلامه فقط،وإنما يعيش آلاما مضاعفة،ألم الشعور بفراق أولاده من جهة،ألم رؤيتهم يشقون في حياتهم بعده من جهة ثانية،وهي حالة نفسية حادة عاشها الشاعر المعتمد بن عباد إذ كان لقاؤه ببناته في السِّجن قد زاده آلاما أشد وأعمق من ألم الفراق وهو يراهن داخلات عليه في حالت مزرية للسلام في يوم عيد،إنها معاناة مضاعفة بالشوق إليهن من جهة والأسى على حالهن من جهة أخرى إذ قال:[2]

فمن يك من هواه لقاء حب فإن هواي من حتفي اللقاء

أأرغب أن أعيش وأن أرى بناتي عوارى قد أضر بهن الحفاء

خوادم بنت ما كان قد أعلى مراتبه إذا أبدو النداء

وعندما تستأثر عاطفة الأبوة نحو الأولاد بوجدان المعتمد يصبح حديثه غاية في عمق العاطفة وقوة الشعور بالحنين فقلبه عند أولاده ولا خير في عيش بدون أولاده،ومما يزيد من آلامه وهو يتابع أخبارهم يوما بعد يوم،علمه معاناة أهله الحالة نفسها التي يعانيها إذ تنتابهم آلام وأشواق مشابهة لآلامه وأشواقه،فتزيده أخبارهم المحزنة في معاناته وجرحه،فها هو يتلقى خبر موت ابنيه ـ الفتح واليزيد ـ وهو عاجز مقيد في أسره،إذ قال:[3]

بكيت فتحا إذ ناديت سلوته ثوى يزيد فزاد القلب نيرانا

[1] : براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،89.

[2]: عبد الوهاب عزام،المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع المرزأ،دار المعارف،القاهرة،1959م،ص،84.

[3]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق،2،ج،1،ص،565.

يا فلذتي كبدي يأبى تقطعها عن وجدها بكما ما عشت سلوانا

لقد هوى بكما نجمان ما رميا إلا من العلو بالألحاظ كيوانا

والنفس الواهة التي تتوق إلى وصال من تحب،تجنح لتحقيق بغيتها عن طريق الخيال أو الحلم،وقد تبدع لنفسها صورة من عالم الذكريات تتنفس في ظلامها عن بأسها الكامن وواقعها المتهجم.

فمن صور الحنين والشوق ما انطو على عالم المغامرات العاطفية فذلك عالم مريح بهيج لم تسود صفحته الآلام ولم تذهب برونقه الأحزان إنه عالم محبب إلى الشاعر السَّجين،لأنه يمده بصورة مشرقة وضيئة،يعيش عليها في مواجهة الصور العابسة التي يعيشها"وكأنها استرخاء عذب للنفس الحزينة،إن أقل صورة من الماضي،كانت تهز مشاعر النفس المرهفة عن طريق التداعي التلقائي للأفكار"[1]،وتطير بها إلى ربوع الماضي القريب.إنها وقفة في أحضان الحبيبة،استرجع بها الشاعر مروان الطليقة الهنيئة إذ يقول:[2]

غصن يهتز في دعص نقا يجتني منه فؤاد حرقا

أطلع الحسن لنا من وجهه قمرا ليس يرى محقا

وقد عاش الشاعر ابن زيدون في سجنه وهو يحن إلى ولادة وذكرياته معها يقول:[3]

الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب داك النسيم

سرنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم السرور للمستديم

فشوق ابن زيدون لولادة كان طاغيا،فكان هذا الحب هو الشفاء لكل جروحه في السِّجن،فكان كلما رأى في وجه القمر إلا تذكرة لها فتمنى أن تطول تلك النظرة.

[1]: إيليا الحاوي،في النقد والأدب،دار الكتاب اللبناني،ج4،1980م،ص31.

[2]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق1،ج1،ص565.

[3]: علي عبد العظيم،ديوان ابن زيدون،ورسائله،مكتبة النهضة،بالفجالة،مصر،ص278.

وفي أخرى يتحدى الدهر بذكرها فيقول:[1]

أيوحشني الزمان وأنت أنسى ويظلم لي النهار وأنت شمسي

وأغرس في محبتك الأماني فاجني الموت من ثمرات غرسي

ويقول الشاعر ابن نزار بما لقيه من ألم مضمن آثاره الشوق والتوق لملاقاة حبيبته فيقول:[2]

لقد بلغ الشوق فوق الذي حسبت فهل للتلاقي سبيل

فلو أنني مت من شوقكم غراما لما كان قليل

تعللني بتداني المنى وينشدني الدهر صبر جميل

وهكذا فإن شعراء الحنين،وإن أشبه شعر الرومانسية فإن زفرات صاحبها السَّجين كان يستمد نسغ عاطفته وملامح من صميم ظلام السِّجن وأعماقه،وواقع الأسر ومعاناته،وما تلك القصائد الذاتية المفعمة بنبضات الشوق والمبللة بدموع الحنين،"سوى شعر إنساني يتعدى حدود الوجدانية الذاتية،ليتصل بالشعور البشري العام".[3]

لأن الذات التي عبر عنها ليست ذاتا مغلقة؛رغم تواجدها في مكان مغلق،بل هي ذات عانت قسوة الأيام،وأنضجتها نار آلام السِّجن .

فاغتنت بألوان المشاعر وغدت شفافة تتراءى من خلالها كل نفس عاشت مأساتها .[4]

3/آلام الغربة:

لقد عانى السَّجين الأندلسي بين الحنين إلى الوطن والحنين إلى الأحبة فقام بالمزيج بينهما،فكان الوطن ليس أرضا وكيانا معنويا،بل هو مربع الصبا ومربع الذكريات،إنه مأوى الأحبة والأهل والأصدقاء فيتلاحم شق الوطن بشوق الأهل

---

[1]: الفتح بن خاقان،قلائد العقيان،مطبعة بولاق،القاهرة،1284هـ،ص،77.

[2]: أحمد بن محمد المقري،نفح الطيب،حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ،مصر،ج،3.39 ،ط،1،1948م،ص،

[3]: إيليا الحاوي،في النقد والأدب،دار الكتاب اللبناني،ج،4،1980م،ص،23.

[4]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص، 92.

والأحباب بحيث لا يمكن التفريق بينهما على مستوى القصيدة،بمزجه بين وحدتين من الحنين،"أضاف عناصر من الواقعية المبسطة وتحدث عنها في صدق لا يخلو من سذاجة،وكان مزجه بين الحنين إلى الموطن والحنين إلى الأحبة على طريقة الاسترجاع الحلمي والتوغل في الماضي".[1]

لم يكن يعصف بالسَّجين حنين الأهل والأحبة فحسب،ولم تكن الأمهات نتيجة لفراق ما يعز عليهما من الناس فحسب بل إن الوطن أيضا كان مصدرا للشعور بالحنين وفراقه كان من أسباب الآلام والشعور والقلق والضيق،إن البعد عن الوطن والتألم لفراقه،عاطفة شكلت ظاهرة عامة لدى الشعراء السُّجناء.[2]

وهذا ما حدث لبعض الشعراء الأندلسيين سواء أكان اغترابهم بالانتقال من الأندلس إلى المغرب،أو الانتقال لسبب أو آخر من مدينة إلى مدينة الأندلس فكانوا كلما اشتد عليهم وطأة الاغتراب ونالت من نفوسهم،نزع الشعراء إلى الشعر يبثون توقعهم وحنينهم المشوب إلى أوطانهم،والجيد من شعر الأندلسيين في الاغتراب كثير ولكني أكتفي منه بالنماذج التالية للاستدلال بها على قيمة الشعر عندهم من الناحية الفنية والناحية الجمالية.[3]

فهذا ابن زيدون القرطبي الذي قاس ألم الغربة فكان يحب المدينة وضواحيها،فأفرغ شعوره وهو في السِّجن بالحنين إليها وشعوره بالغربة،وهو محروم مسّجون فيتذكر أيامه بها فيقول في قصيدته:[4]

أقرطبة الغراء هل فيك مطمع؟ وهل كبد حرى لبينك تنقع؟

وهل لليالينا الحميدة مرجع؟ إذا الحسن مرأى فيك واللهو مسمع.

فالوطن عنده يمثل الأيام السعيدة المشرقة من حياته،فهو كمرتع للهو في صباه ومربع أحبابه،إنه يرى نفسه في وطنه

---

[1]: إيليا الحاوي،في النقد والأدب،دار الكتاب اللبناني،ج4،1980م،ص18.

[2] براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي ،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص92.

[3]: المرجع نفسه،ص93.

[4]: عبد المنعم خفاجي،الأدب الأندلسي التطور والتجديد،دار الجيل،بيروت،ط1،9921م،ص491.

قرطبة سعيدا وإن عانى الظلم والقهر،لأن أنفاس الحب تمده بطاقة من التحمل والدفء وهو صبور فيه،حتى وإن صوبت سهام الخيانة والغدر.[1]

وغربة الشاعر هنا هي غربة أحدثها السِّجن بإبعاد عن مدينته الحبيبة،وهي ليست غربة من الناحية الجغرافية،ما دام سِّجنه كان في قرطبة وإنما من الناحية النفسية إذا حجب عن ناظريه بماء قرطبة وأبعد عنها لمدة طويلة.[2]

وها هو يمضي في وصف ذكرياته السعيدة في وطنه قرطبة فينتقل إلى وصف حالته في غربته بالسِّجن تصويرا من موشحه فيقول:[3]

أإخواننا للواردين مصادر ولا أول إلا سيتلوه آخر

وإني لأعاتب الزمان الناظر فقد يستقيل الجد والجد عاثر

ظعنت وكان الحر يجفى فيظعن وأصبحت أسلو بالأسى حين أحزن

وقر على اليأس الفؤاد الموطن وأن بلادا هنت فيها لأهوان

ولقد نظم الشاعر المعتمد بن عباد في أسره وسِّجنه في أغمات بالمغرب شعرا يحن إلى مملكته إشبيلية ذاكرة قصوره التي شيدها وافتن في تزيينها وعرف في أرجائها الأمن والسعادة والاستقرار.[4]

إذ يقول:[5]

غريب بأرض المغربين أسير سيبكي عليه منبر وسرير

وتندبه البيض الصوارم والقنا وينهل دمع بينهن عزيز

---

[1]: المرجع نفسه،ص،497،498.

[2]: المرجع نفسه،ص،494.

[3]: المرجع نفسه،ص،491.

[4]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس،رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،94.

[5]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق،2،ج،1،ص،75.

مضى زمن والملك مستأنس به وأصبح عنه اليوم وهو نفور

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغدير

بمنبتة الزيتون مورثة العلا تغنى قيان أو ترن طيور

بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا تشير الثريا نحونا ونشير

ومن طبيعة النفوس المعذبة أنها في غمار حياتها العابسة في السِّجن وواقعه المتهجم،تجنح لاستعادة رصيدها السالف،وعواطفها الغابرة هربا مما هي عليه من أسى وكآبة،وعند ذلك يطيب لها العيش في رحاب الماضي البهيج،وتستمرئ التهويم في عالم الذكرى.[1]

إلا أن الشاعر المعتمد بن عباد يسترجع في غربته ذكريات ماضيه،لأنها تؤكد له ضياع ملكه إلى الأبد،وزوال عز أيامه ومجده،ولم يجد المواساة المؤازرة في بلائه,إلا معالم قصوره التي أجهشت بكاء على فراقه,وكأنها تعاني هي الأخرى من الغربة بعد رحيله عنها،فأظلم جو القصر من أقماره،وخلا من حراسه،وفي ذلك يقول:[2]

بكى المبارك في إثر ابن عباد بكى على أثر غزلان وأساد

بكت ثرياه لا غمت كواكبها بمثل نوء الثريا الرائح الغادي

بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته والنهر والتاج كل ذله بادي

ماء السماء على أبناءه درر يا لجة البحر دومي ذات أزباد

أما الشاعر محمد بن صمادح التجيبي فقد قرر عدم نسيان الجزيرة كلها،لما كانت تمنحه له من حلو الأماني والعز وبدونها فهو في حالة اغتراب وتمزق فقد قال وهو في الاعتقال يستشعر الصبر على تغير الحال:[3]

وقلت لعلها ظلم ألمت وحال الليل آخرها الشعار

---

[1]: إيليا الحاوي،في النقد والأدب،دار الكتاب اللبناني،ج4،1980م،ص68.

[2]: الفتح بن خاقان،قلائد العقيان،مطبعة بولاق،القاهرة،1284هـ،ص24.

[3]: عبد المالك المراكشي،الذيل والتكملة،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،1973م،ص335.

وما أنسى الجزيرة والأماني تدير لهم ودار العز دار

إن ابتعاد الشاعر السَّجين عن وطنه ومدينته فجر في نفسه إحساسا قويا بالتيه والغربة والانطواء،وقوى شعور الحنين إليه،مما دفع بالكثير من الشعراء المساجين إلى رسم صور له جذابة بأسلوب رومانسي هادئ.[1]

أما الشاعر أبو زكريا يحي بن هذيل فهو يعبر عن غربته وشوقه إلى دياره يقول:[2]

أيها الدهر إني قد سئمت تهدفي أجراني فإن السهم منك مصيب

إذا خفق البرق الطروق أجابه فؤادي ودمع المقتلين سكوب

وإن طلع كف الخضيب سحيرة فدمعي بحناء الدماء خضيب

تذكرني الأسحار دارا ألفتها فيشتد حزني والحمام طروب

إذا علقت نفسي بليت وربما تكاد تفيض أو تكاد تذوب

والحياة بالسِّجن أساسها الكدر والمعاناة فإذا استأنس السَّجين بالسّجين وجد كل منهما في صاحبه ملاذه من الغربة والوحدة،لكن سرعان ما تمتد إليهم يد الفراق فتنتهي فترته إلى حياة أخرى،الشيء الذي يجعل السّجين يعود إلى النقطة الصفر في رحلة الشعور بالغربة وآلام الفراق،وهذا ما عاشه الشاعر المعتمد بن عباد,إذ سّجن جماعة من أهل فاس في أغمات فرغبوا إلى السَّجان أن ييسر لهم لقاء المعتمد وكان يتسلى في غربته بمجالسهم ويستريح إلى محادثتهم إلى أن أطلقوا من سّجنهم.[3]

إنه الشجن الصادق العميق،فيض عنيف من ألم،إن شعورهم بالغربة الحقيقية كان شعورا طاغيا ولا نبعد عن الحق إذا قلنا إن هذا الوطن يجسد كل أنواع الحنين،فهو يمثل العلاقة بين الفرد والمغترب وأرضه التي تعكس أيضا عالم الطفولة

[1] : براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي ،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،94.

[2] : أحمد بن محمد المقري،نفح الطيب،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،مصر،ج، 1948،8م،ص،9.

[3] براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص، 95.

والمحبوب الذي تتهالك النفس شوقا إليه،ولا عجب في حنين الشاعر لوطنه ولمدينته،إذ أن هذا الحنين يجسد شعورا قويا بجمال دنيا الطفولة والصبا.[1]

[1]: المرجع نفسه،ص،96.

المبحث الثاني:المواضيع الخاصة في شعر السُّجون الأندلسي

كان ولا يزال السِّجن من أهم العقوبات التي تختزل بيئة المسجون في مكان ضيق،تختفي فيه معاني الحياة،ومن أخطر آثار السّجن,أنه يبعد السّجين عن المجتمع ويصبح منعزلا,وبالتالي نجد هذا الأخير لا بد له من أن يشعر بقلق واضطراب نفسي شديد،فللمسجون آثار تترك في داخله آثارا عميقة أجملناها كالآتي :

1/الشعور بالوحدة وخيبة الأمل:

عاش السّجين في سِّجن دنيا مشحونة بالآلام والجروح،إذ هيمنت الوحدة على حياته،وأخذ الشعور بالغربة بخناقة،فجعله يعيش تجربة قاسية فقد ذاته واكتسب ذاتا غريبة عنه ومع هذا الانكسار الوجودي نجده قد التحف الخيبة واليأس من الحياة وهو لا يتبين صورة لذاته إلا بملامح الفشل[1]،وصدق الفيلسوف فروم حين قال:"التغرب من النفس هو الفشل في أن يكون الإنسان النفس كما يجب أن يكون عليها."[2]

وأعماق الشاعر؛وهو في السِّجن ،هي مشاعر غربة من القلق والحيرة والتمزق ما يستوعب أبعاد الذات العميقة،وفيها من الحكمة والبصيرة،ما يستقطب الحقيقة والكمال عبر مسيرة معاناته وفيها من الأنفة والعزة ما يحول الألم إلى نشوة وغبطة.[3]

وهي أحوال مختلفة طهر عليها بصورة متفاوتة،وفي كل صورة ظهر عليها،إلا تجلى عدم توازن القوى النفسية عنده،غدته بصورة أساسية الوحدة وخيبة الأمل في الحياة.[4]

إن الإحساس بالوحدة هو وجه من وجود اغتراب الشاعر،لأنه يحس فيها بوجوده قد أخذ منه،لذا حاول أن يتجاوز هذه الغربة النفسية والجسدية بأن يتخذ من الوحدة نفسها قلعة يطل منها على العالم الذي يريد أن يتجاوزه إلى عالم

---

[1]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،121 .

[2]: هانز ميرهوف،الزمن في الأدب،ترجمة أسعد رزوق،مؤسسة سجل العرب،القاهرة،1972،ص،73.

[3]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي ،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،121.

[4]: المرجع نفسه،ص،121.

أرحب من صنع خياله الشعري.ففي سّجنه حيث أجلس ذاته الكسيرة ليلتمس منها السلو والمؤانسة؛عاش صراعا نفسيا حادا.[1]

إنها إحباطات جعلت ينصهر في مصير مفعم بالحزن،وفجرت فيه حساسية عميقة،تحولت بفعل استمرار المعاناة إلى الشعور بالانكسار والقلق الدائم،يجسدان ظلامية المكان ورهبته.[2]

لقد صور الشاعر أبو عمر الرمادي هذه المعاناة بحالة مأتم استحالت إليها حياته في السّجن ومن معه من أهل الأدب إذ قال:[3]

وحولي من أهل التأدب مأتم ولا جؤذر إلا بثوب مشقق

إنه سِّجن مرير اختفت فيه معالم الحياة،مادام من يدخله يشعر بأنه في مأتم؛على حد قول الشاعر،مما يفسر أن السِّجن لا يمكن أن يكون إلا داء وشرا وبلاء على المرء فهو عالم مناقض لأحلامه وطموحاته خاصة وأنه كان ينشد سعادة وطمأنينة في حياة البلاط،قد حرم هو نفسه أسبابها بارتكابه الخطأ الذي أدخله السّجن،أو بما لفق من اهتمام.[4]

إنه الشعور بنوع من الاغتراب النفسي أوجدته طبيعة المكان،وزادت في احتدامه في نفسه الوحدة،مما ساعد على شبوب عواطفه احتدام شعوره.[5]

كما تجلت الوحدة عند الشاعر السّجين في شكل حصار،أسواره الفراق والشوق والذلة،وتتجلى لنا هذه الصورة،فيما قاله الشاعر ابن شهيد في هذه الأبيات:[6]

---

[1]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص، 121.

[2]: المرجع نفسه،ص،22.

[3]: أحمد بن محمد المقري،نفح الطيب،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،مصر،ج 5،1948م،ص ،181.

[4]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،122.

[5]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص، 122.

[6]: charles bellat.41،ص1،1963م،ط،بيروت،دار المكشوف،ديوان ابن شهيد،

فراق وسّجن واشتياق وذلة وجبار حفاظ على عتيد

فمن مبلغ الفتيان أني بعدهم مقيم بدار الظالمين طريد

لقد هيمن التبرم على نفسه،ومزق قلبه وهو يرى حياته تضيع في ظلام السّجن،وهو شعور كان سائدا عنده نتيجة حرمانه أسباب السعادة.كيف لا وهو قد رأى أحلامه وطموحاته تطفو فوق تلك الظلمات.لقد مال بعضهم كالمصحفي وابن عمار إلى اجترار النفس،وتأمل أوضاعها في السّجن بأسلوب مأساوي حزين،فلم يستطيعا أن يتساميا على الشقاء والتعاسة،شأن بعض الشعراء السُّجناء فراحا ضحية هواجس سوداء وضحية رد فعل سلبي من الأمير خنقت حياتهما فانتهينا بالموت في السِّجن.[1]

ولشدة شعور الشاعر السَّجين بالعزلة والجفوة من سواد الناس ـ خاصة الأحباب ـ انطوى على نفسه،واستغرق في التفكير في ذاته،وهي تعاني الخوف والأسى،والشكوى من حساده.[2]

ونلمس ذلك في قول الشاعر ابن زيدون من الرسالة الجدية التي كتبها إلى أبي الحزم بن جهور إذ قال:[3]

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

فكان الشاعر أسير سِّجنين،سّجن داخل المكان المظلم وسّجن بالوحشة،فكانت غربته غربة مزدوجة،عانى فيها كل أنواع الوحدة وخيانة الأصحاب .

وهاهي مرارة الحسرة والندم تظهر على الشاعر نادما على ما قام به ويتجلى ذلك في قول جعفر المصحفي:[4]

تندمت والمغرور من قد تندما وهل ينفع الإنسان أن يتندما

[1] : براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص، 122.

[2]: المرجع نفسه,ص,123.

[3]: علي عبد العظيم،ديوان ابن زيدون،ورسائله،مكتبة النهضة،بالفجالة ،مصر،ص،695،682.

[4]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق،2،ج،1،ص،70.

غرست وقضيبا خلته عود كرمة وكنت عليه في الحوادث قيما

أكرمه دهري فيزداد خسة ولو كان من عود كريم تكرما

وعبر محمد بن مسعود إذ قال:[1]

سِّجن وقيد وأعداء منيت بهم لا يسأمون مع الأيام تثريبي

فهاهنا صوت شجي مفعم،ونفس معذبة ومثقلة بالهموم والأحزان،شعور بالإحباط،فعاش الشاعر مأساة الوحدة التي راحت وولت من معالم حياته اليومية.

ومن الملاحظ على شعر السُّجون أنه كثيرا ما قام على المراسلة الشعرية بين الشاعر والسَّجين والأنير أو الصاحب والصديق،فالرسالة الأولى كانت تُرسل إلى الملوك والأمراء وذوي السلطة والنفوذ،دائرة حول الاعتذار،وعن النوع الثاني فكانت بين الشاعر السَّجين والصاحب الوفي.

وعلى سبيل التمثيل نذكر أبياتا شعرية التي بعثها المعتمد بن عباد إلى الشاعر أبي بكر الداني وكان لك بعدما أراد الانفصال عن المعتمد وهو في أسره،فبعث إليه مع عشرين مثقالا وشقة رازي بغدادي فقال:[2]

إليك النزر من كف الأسير فإن تقبل تكن عين الشكور

تقبل ما يذوب له حياء وإن عذرته حالات الفقير

ولا تعجب لخطب غض منه أليس الخسف ملتزم البدور؟

ورج لجبره عقبي نداه فكم جبرت يداه من كسر

وكم أعلت علاه من حضيض وكم حطت ظباه من أمير

نحوس كن في عقبي سعود كذلك تدور أقدار القدير

---

[1]: المصدر نفسه،ق،1،ج،1،ص،73.

[2]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق،2،ج،1،ص،62،63.

وإن أكثر ما كانت تتمكن الوحدة من نفسية الشاعر وتترك أثرا واضحا به بقدوم الليل،فذلك لأن الليل يحيل الأشياء في ذهنه إلى أطياف،يزيل حقيقتها،ثم يأتي الظلام فيطمسها فتثار كوامن نفسه في حزن وأسى فيشعره بخيبة الأمل،وفشله في الحياة.

وبما أن الليل مظهر الوحدة،فقد كان يناجيه ويذوب في قلب معالمه،فيعبر عن كآبة نفسه وهمومه ومعاناته وحسرته على ما آل إليه مصيره المحزن.

فها هو ابن زيدون يعاتب الليل بنجومه على عدم مقاسمتها لآلامه بالبكاء على حاله حتى تخفف عنه المعاناة،لكنها لم تحرك ساكنا،فزادته بثباتها السلبي شعورا بالوحدة والخيبة إذ قال:[1]

وهلا أقامت أنجم الليل مأتما لتندب في الآفاق ما ضاع من نبلي

لو أنصفتني وهي أشكال همتي لألقت بأيدي الذل لما رأت ذلي

لعمر الليالي إن يكن طال نزعها لقد قرطست بالنبل في موضع النبل

تحلت بآدابي,وإن مآربي لسانحة في عرض أمينة عطل

فالليل بالنسبة للشاعر السَّجين،الأدنى إلى نفسه إذ فيه يتوحد ويعايش ذاته،فيذكره بما قد ضاع منه،ويعبر عن هذه الحالة الشاعر أبو زكريا بن هذيل فقال:[2]

تذكرني الأسحار دارا ألفتها فيشتد حزني والحمام طروب

فكان الليل إثارة بنجومه في وحدته ومعاناته مرتبطة بمصيره في السِّجن.

---

[1]. علي عبد العظيم،ديوان ابن زيدون،ورسائله،مكتبة النهضة،بالفجالة ،مصر،ص262.

[2]. أحمد بن محمد المقري،نفح الطيب،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،مصر،ج 8،8194م،ص9.

2/صورة الموت:

إن الموت حالة أساسية لدى الإنسان في كل زمان ومكان فليس كالموت سبب للقلق،إذ نسلم به وننكره ولكننا مع ذلك نمقته،نتوقعه ولكن معظمنا يود من صميم قلبه أن يتأخر مجيئه،نعترف بحتميته،ولكننا في خضم حياة الدنيا ومعترك المطالب والتكالب،ننساه أو نتناساه،نعتقد مخلصين أنه لا مفر ولكننا نعتبره مشكلة آجلة أو عاجلة،وسكون الموت مشكلة حينما يشعر الإنسان شعورا قويا بهذا الإشكال في نفسه بصورة عميقة.[1]

والشاعر السَّجين كأي إنسان عادي،شغل الموت حيزا من فكره،لذا فقد تضمن مجال ذكره في شعره بصورة ما حتى صار مشغلة لعلقه الباطني في أكثر حالاته قلقة ويأسه،خاصة وأن الأحداث سِّجنه قد عمق إحساسه به وبما أن الموت حتمية مطلقة،ولا يمكن استئصالها من حياة الإنسان ومن خبرته الإنسانية.[2]

فقد اختلفت درجة الشعور به من شاعر إلى آخر،فمن الشعراء من فجر فيه الإحساس بالموت الرهبة والفزع وهاجس الخوف وهي حالة قلق عميقة،كثيرا ما كانت تنتابه بين الفينة و الأخرى،فقد كان وقوفه على حتمية وقوف العاجز المستسلم فالقلق الصادر عن الموت هو قطعا أشد قلق يعانيه الإنسان في حياته،لأنه إنهاء لإمكان الوجود في العالم.[3]

ومما لا ريب فيه أنه إحساس رهيب،نقل الشاعر من مألوف إلى مجهول،حاصرته الحسرة والظلمة واشتدت نظرته للحياة بحس مأساوي،إنه الموت البطيء والحزن الملتهب داخل القلب.

وهذا ما عبر عنه ابن زيدون عندما كتب من السَّجن إلى صديقه أبي حفص بن برد قائلا:[4]

نلبس الدنيا ولكن متعة ذاك اللباس

---

[1]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص، 132.

[2]: ميرهوف،الزمن في الأدب،ترجمة أسعد رزوق،مؤسسة سجل العرب،القاهر،1972،ص،74.

[3]: عبد الرحمن بدوي،الزمان الوجودي،مكتبة النهضة المصرية،ط،1955،2م،ص،175.

[4]: علي عبد العظيم،ديوان ابن زيدون،ورسائله،مكتبة النهضة،بالفجالة ،مصر،ص،275.

فهذا التحول المفاجئ من حياته جعله يشعر بقرب الموت منه،فيتقلب بنوع من الرضى المتأسي،في حين يتذكر أن الدنيا ما هي إلا لباس نرتديه ولكن إلى حين.

فالشاعر يعيش حالة من التوقع والانتظار المريرين في موت بطيء،إذ يترقب الموت في كل لحظة لم يصله فيها عفو الخليفة عنه،وهي معاناة قد عبر عنها الشاعر أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك فقال:[1]

وكنت أحسد لما كنت أنشده فاليوم ها أنا بين الناس مرحوم

فقد تفاقمت معاناة الإحساس بالموت القريب،عند بعض الشعراء إلى درجة أن تساوت الحياة مع الموت في نظرهم،فنتج عن ذلك الشعور،نوع من عبثية الحياة،وهو يشعر بدوامة الزمن وديمومة الموت والحياة كليهما،وكأنهما مرحلتان ظاهريتان لجوهر واحد،فأصبح بذلك الشاعر السَّجين وكأنه مصاب بداء الوجود،يثور فيه الشوق إلى الحياة حتى أصابه ضرب من العياء واليأس،فبات يعبر عن الشيء وكأنه يعبر عنه وضده في آن واحد.[2]

وهذا ما عبر عنه المعتمد بن عباد فقال:[3]

نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ بعدهما نسخ الليالي الأمانيا

فهذه معاناة شكلت مأساة فوجد الشاعر نفسه قد طغى عليه الزمن صاعدا،صوب حياته بالفناء،فيلتقي بالأسى والقلق وهما يسدلان على نفسه ستائر اليأس.

وكثيرا ما كان الشاعر السَّجين وهو يعيش وجودا منهزما تنتابه مشاعر متناقضة من اليأس والأمل إذ قد أحس اليقين،أن الموت قادم إليه وأن نهايته لقريبة في نفس اللحظة التي لا زال فيها الأمل يراوده ويحدثه أن الفرج قد يأتي ويصله عفو الخليفة،ففجع من جهة واستبشر خيرا من جهة أخرى,وهو إحساس قد عبر عنه الشاعر ابن عمار بقوله:[4]

قالوا سيجزيه فلان بفعله فقلت وقد يعفو فلان ويصفح

---

[1]: كان يرهق في دينه فأفضت به الحال في إشبيلية إلا الاعتقال من طرف المعتمد بن عماد،الذخيرة،ق4،ج1،ص373.

[2]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي ،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص133.

[3]: الفتح بن خاقان،قلائد العقيان،مطبعة البولاق،القاهرة،1284هـ،ص26.

[4]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق2،ج1،ص421.

يهنيه إن مت السلو فإنني أموت ولي شوق إليه مبرح

لقد حاول الشاعر السّجين الفرار من هاجس الموت الذي كان يطارده،باستطلاع في الخليفة قليلا من الرحمة والرأفة بحاله،لكنه كثيرا ما كان يجد نفسه في الأخير يستطلع السراب ليحبسه ماء وعن هذا عبر الشاعر ابن زيدون فقال:[1]

وما زال وعد النفس في منك بالمنى كأني به قد شمت بارقة المحل

إنه لا زال متعلقا بآماله في الأمير،على الرغم من إعراض هذا الأخير عنه في ذلك كأنه متعلق بالسراب الخادع والسحاب الكاذب،وتعلق الشاعر بالأمير يعكس في حقيقة الأمر مدى تعلقه بالحياة،وهروبه من الموت الذي يلاحقه.[2]

لقد أدرك البعض منهم،أنه عبث يربطه بوهم الأماني الكاذبة،إذ لا يكاد يحققها حتى تجفوه،ويموت شوقه إليها،فشعر بدنو أجله وأن الموت شارف ولا محالة.[3]

وهذا ما أحس به الشاعر الرمادي وعبر عنه بقوله:[4]

أ باكية يوما ولم يأت وقته سينفذ قبل اليوم دمعك فارفقي

فهذه المعاناة،جعلت الشاعر يحيي زمنا واحدا هو الموت،الفناء القريب،لذا فقد اتخذ البعض إطلالة على الفرج،والخلاص من مأساة التوقع،مقتنعا بأن مصير السّجن واحد لا محالة،إذ هو الموت القريب،فينتظره بنفس ساكنة وروح مطمئنة.

فقد تمنى الموت ولا يتوقع مصيرا غيره،بعدما يئس من مطاردة أما خادع وعن هذا عبر الشاعر المعتمد بن عباد حين دعا له الوزير أبو العلاء بن زهر أثناء الرسالة التي بعثها إليه،بطول البقاء فقال:[5]

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى أسير أن يطول به البقاء

---

[1]: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م،ص،133.

[2]: المرجع نفسه،ص،134.

[3]: المرجع نفسه،ص،134.

[4]: أحمد بن محمد المقري،نفح الطيب،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،مصر،ج 19485م،ص، 182.

[5]: عبد الوهاب عزام،المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع المرزأ،دار المعارف،القاهرة،1959م،ص,84.

أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقي بها الشقاء

فمن يك من هواه لقاء حب فإن هواء من حتفي اللقاء

كما توقع الحاجب المصحفي الموت وهو في السِّجن حين رد على استعطافه المنصور بأنه لا يعفو عنه ولو تشفع فيه العرب والعجم ،حينها قال:[1]

لي مدة لا بد أبلغها فإذا انقضت أيامها مت

لو قابلتني الأسد ضارية والموت لم يدن لما خفت

فانظر إلي وكن على حذر فبمثل حالك أمس قد كنت

وكذلك توقع الشاعر ابن شهيد الموت في اعتقاله،ويئس من وصول عفو الأمير إليه،فأمر أن يكتب على قبره مقطوعة شعرية منها قال:[2]

كل كأن لم يكن تقتضى وشؤمه حاضر عتيد

يا رب عفوا فأنت مولى قصر في أمرك العبيد

ومن كل ما قدمناه من مواضيع شعر السّجون في الأندلس حين كانت تعبر عن كل ما يجول داخل خواطر الشعراء المساجين،فكانت ظلمة المكان وحرقة الأيام تترك أثرا في نفسه فتتلاحم تلك المشاعر فتُنتج تلك التعابير التي تتركك تتخيل تلك الحياة وتلك الكلمات،وبذا كان فصلنا هذا الذي تكلمنا فيه عن هذه المواضيع.

[1]: ابن بسام الشنتريني,الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،ق4،ج1،ص700.

[2]: ديوان ابن شهيد،دار المكشوف،بيروت،ط1،1963م،ص، 46.

الفصل الثالث: السجينات عند ابن زيدون

- المبحث الأول: الأدب الأندلسي وابن زيدون

- المبحث الثاني: سبب دخوله السجن

- المبحث الثالث: سجينات ابن زيدون

الفصل الثالث:السّجنيات عند ابن زيدون

بعدما كنا قد تطرقنا في الفصل الثاني عن مضامين وخصائص شعر السُّجون نأتي الآن إلى الفصل الثالث تحت عنوان سّجنيات ابن زيدون،ابن زيدون بحتري المغرب،فقد اهتم الباحثون لابن زيدون بثلاثة جوانب لديه هي:عشقه ولادة بنت المستكفي،ومكانته الأدبية باعتباره شاعرا بليغا، ثم دوره السياسي الذي تقلب فيه بين الوزارة والسِّجن والهروب،وهذا الأخير ما آلت إليه دراستنا وهو سِّجنيات ابن زيدون،الذي تمكن بشاعريته الفذة وقصة حبه الفريدة مع ولادة وتوليه الوزارة وسّجنه،إنتاج القصائد التي عبرت عن هذه التجربة الملتهبة وقسوة الواقع وهو يرسم في قصائده رقة وتوهج وشفافية،فقد رُحتُ أنا وزميلتي نخط في هذا الفصل بَاحثِين عن ابن زيدون والأدب الأندلسي،وسبب دخوله إلى السِّجن،ومن سِّجنياته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:الأدب الأندلسي وابن زيدون:

قال أحمد الزيات:"كان ابن زيدون صاحب الثروة لأنَّه عندما مات والده عاش تحت جناح جدِّه لأمه الذي كان من قضاة قرطبة."[1]

كان ابن زيدون شاعرا وأديبا، أنشد الأشعار والقصائد في أغراض متعددة من الغزل والمدح والاستعطاف والشكوى،والرثاء،ومع ذلك كتب في النثر رسالتين أي الرسالة الجدِّية والهزلية،والرسالة الهزلية تتصل بحياته العاطفية وما اشتملت عليه من حب ومنافسة،وهي رسالة أنشأها ابن زيدون على لسان ولادة يتهكم فيها ويسخر من ابن عبدوس مناوئه في حب ولادة.ولهذه الرسالة طبعات متعددة مع شرحها، والرسالة الجدِّية تتصل بحياته السياسية وما رافقها من سِّجن واستعطاف،وهي الرسالة التي أرسلها الشاعر الأديب إلى أبي الحزم ابن جهور من السِّجن،رسالة تذكر بولائه وخدمته للجهاورة ويطلب فيها العفو

[1]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،القسم الأول،ج1،ص350.

عنه.وهذه الرسالة طبعت غير مرة وشرحها غير شارح،قال الدكتور جودت الركابي:" إن أهل النقد أصدروا قولا جميلا في ابن زيدون على أنه شاعر نبيل، أحسن التعبير أدبا وديباجته الشعرية الذوق الأدبي، وكان من الطبقة الأولى بين الشعراء الأندلسيين."[1]

قد أعجب الأدباء والكتاب منذ القدم بروعة نظمه ورونق أساليبه،ووجدوا لشعره موسيقى فيها الخفة والرشاقة فشبهوه بالبحتري،قال الدكتور شوقي ضيف :ابن زيدون من أعلام الشعر والنثر في الأندلس.[2]

المبحث الثاني :سبب دخوله إلى السِّجن:

يتولى أبو الحزم جهور مقاليد الحكم وجعل ابن زيدون حكما شوريا ديمقراطيا ؛من خلال مجلس كان يشاوره في سياسته،وتدبير شؤون حكمه،وأكبر الظن أنّ ابن زيدون كان ممن انتظموا حوله في حاشيته، ودس عليه حوالي سنة430 هـ أنّه يشترك في مؤامرة ضد أبي الحزم جهور،وتصادف أنَّ أُتهمَ بالاستيلاء على عقار لبعض مواليه، وزجَ به أبو الحزم في السِّجن ،واستعطفه برسالته الجدية وقصائده المختلفة،ولكن ما سمع عنه قط حتى إلى أن توسط له ابنه أبو الوليد فأمر أبو الحزم بحريته.[3]

كتب ابن زيدون الرسالة الجدية[4]،يستعطف بها أبا الحزم جهور أمير قرطبة حين ألقاه في غياهب السِّجن ووراء قضبانه،لما قيل من نهبه عقارا لبعض مواليه.[5]

قال جودت الركابي :"أن ابن زيدون كتب إلى ولادة رسالته الهزلية يسخر فيها على لسانها من ابن عبدوس ويتهكم عليه ويعبث به ويهجوه،ولكن ولادة لم تفعل ذلك بل عضبت عليه وتهجوه بيتين هجاءا

[1]:جودت الركابي، في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،1960م،ص،164.

[2]:شوقي ضيف،عصر الدول والإمارات،الأندلس،دار المعارف،ص،282.

[3]:شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،عصر الدول والإمارات،الأندلس،دار المعارف،ص،282.

[4]:عناني محمد زكريا،تاريخ الأدب الأندلسي،دار المعرفة الجامعية،إسكندرية،م1999،ص98.

[5]:الصدر نفسه،ص،468

فاحشا،ويعظم الخلاف بينهما وتحتدم العداوة بينه وبين منافسه ابن عبدوس،وهذه العداوة التي كانت سببا لدخول الشاعر السِّجن."[1]

قال أيضا:"لا نعلم كثيرا ما من الأسباب الأصلية لدخوله في السِّجن، لكن بعض المؤرخين يقولون:أنّ ابن زيدون كان على ثورة أبي الحزم بن جهور،ثم رُفعت هذه القضية إلى القاضي أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن المكوى ،الذي ولَى قضاء قرطبة،عندما عرضت قضيته عليه أمر بسِّجنه بغير التأجيل، فإذا افترضنا أن هذه المحاكمة قد جرت في السنة التي ولى ابن مكوى قضاء قرطبة يكون الشاعر قد دخل السِّجن وعمره ثمانية وثلاثون عاما."[2]

أن قصة محاكمته تأخذ شكلا آخر عندما يرويها ابن بسام [3]،ويروي أن السبب المباشر لسِّجنه التهمة التي ألصقت به وتتخلص في أن ابن زيدون قد حاول استغلال إرث أحد الأسياد بعد وفاته،فكان أن قيد إلى المحاكمة،فحكم عليه القاضي ابن مكوى بالسِّجن،إلاّ ابن زيدون يدفع هذه التهمة عن نفسه في رسالة أرسلها إلى أستاذه أبي بكر بن مسلم[4]،وهو مختف بقرطبة بعد هربه من السِّجن، ويثبت فيها أن السيد كان لا يملك شيئا حتى يستطيع أن يكسب إرثه."[5]

قال الصفدي[6]:"إن ابن زيدون ارتحل من قرطبة إلى المعتضد بن عباد، فأخصه لنفسه ورفع ذكره في مجالس الوزراء وكان يتشاور معه في أكثر الأمور،شخصيته كالوزير عند الملك وكان ابن زيدون فرغ نفسه إلى

---

[1]. ريمة برفرق،شعرية الفضاء المغلق،رسالة ماجستير،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الحاج لخضر الجمهورية،الجزائر، 2008،2009م،ص،38.

[2]. جودت الركابي،في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر، 196،ص،175.

[3]. : ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،ص،350.

[4]. : المصدر نفسه،ص،355.

[5]. : جودت الركابي،في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،196،ص،176.

[6]. :هو خليل بن أيبك الصفدي،ولد في دمشق سنة 696.حفظ القرآن في صغره وقرأ على علماء عصره إلى أن برع وسار في الرسائل والنظم والنثر،كتب وسمع من العلماء في قاهرة ، وكان بينه وبين علماء عصره وأدباءه مكاتبات ومراسلات كالحافظ أبي الفتح،جمال الدين ابن نباتة وغيرهما.
انظر :مقدمة تمام المتون ،ص،6،الإعلام،ج،2،ص،315.

جهور ،كان من الطوائف الذين ظهروا على الأندلس،فتنمي القوم وتحيروا إليه لبراعته،وحسن أخلاقه وسيرته،فاتفق أنَّ غضب ابن جهور على ابن زيدون فحبسه."[1]

قال بُطرس البستاني[2]في كتابه :"اشتغل ابن زيدون بالأدب ونقب عن دقائقه إلى أن برع وبلغ من صناعة النظم والنثر،وانقطع إلى أبي الحزم بن جهور أحد ملوك الطوائف [3]،بالأندلس وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره،واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس فأعجب به القوم وتمنوا ميله إليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق أن ابن جهور نقم عليه أمره فحبسه ."[4]

قال أيضا في كتابه أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث:"أرسل إلى ولادة الوزير ابن عبدوس مرة إمرأة تستميلها إليه،وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد به،فبلغ ابن زيدون ذلك،فكتب عن لسانها رسالته الشهيرة في أبي عامر والتهكم عليه,وأرسلها إليه من قبل ولادة .....وأفضت الحال بين الرجلين إلى عداء شديد،فأخذ ابن عبدوس يسعى بمنافسة لدى أبي الحزم بن جهور،وشد ساعده جماعة من الواجدين على ابن زيدون،يذكر منهم ابن حيان عبد الله بن أحمد ابن مكوى أحد حكام قرطبة،فاتهموه بالخيانة العظمى، وزعموا أنَّه يحوك الدسائس لنزع السلطة عن الجهورية وإرجاعها إلى بني أمية؛فغضب أبو الحزم عليه وأمر به إلى السِّجن،فقضى فيه زمنا يبعث بالقصائد إلى الأمير يمدحه ويسأله إطلاق سبيله،فلا يجيبه،فتحيل لنفسه حتى فر من سِّجنه."[5]

---

[1]. الصفدي ،خليل بن أيبك،تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية، بيروت،1969م،ص،6.

انظر :عناني مصطفى ،إظهار المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون،مطبعة الرحمانية مصر،1927م،ص،32.

[2] :بطرس البستاني:بطرس بن يولس بن عبد الله ،ولد في قرية جنوبي بيروت،درس العربية والسريانية على الخورى ميخائيل البستاني،مات 1870،له آثار كثيرة أهمها:محيط المحيط،بلوغ الأرب في نحو العرب،قطر المحيط،آداب العرب شرح ديوان المتنبي،دائرة المعارف،تعليم النساء.

انظر معجم الأدباء،ج،1،ص،471،الأعلام،ج،2،ص،58.

[3] :ملوك الطوائف:بدأ رؤوس الطوائف يستقلون بالإمارات التي يحكمونها فعرفوا بملوك الطوائف،قد أصبحت المدن الهامة في الأندلس عواصم لهذه الدويلات الصغيرة،ومن أهم هذه الدويلات،الدولة الزيرية،الحمودية،الهودية،العامرية،العبادية،بني الأفطس،الجهورية،ودولة ذي نون.

انظر:في الأدب الأندلسي،ص،23.

انظر:كامل كيلاني،ملوك الطوائف،ص،7.

[4]. البستاني بطرس،دائرة المعارف،مطبعة الأدبية بيروت،1887م،ج،1,ص،496.

[5]. البستاني بطرس،أدباء العرب وعصر الانبعاث،دار نظير عبود،بيروت،ص،117.

يرى بعض الباحثين أن الشاعر أُودَع السِّجن مرتين،لكن الرأي الصائب أنّه لم يُسجن إلا مرة واحدة في عهد أبي الحزم بن جهور.[1]

"كان الوزير أبو عامر بن عبدوس ينافس ابن زيدون على قلب ولادة،فاغتنم الجفوة وراح يتودد إليها،مما جعل الغيرة تدب إلى قلب الشاعر.....فاشتد العداء بين الرجلين واستطاع ابن عبدوس مع أعوانه أن يوقع بين ابن زيدون وابن جهور الذي اتهم الشاعر باختلاس رجل ذمي وبالخيانة،فسَّجنه ولم تنفع قصائد الاعتذار،قد ففَر ابن زيدون من السِّجن." [2]

يظهر أيضا السبب السياسي في إدخال الشاعر السِّجن،في إمارة قرطبة عند بني حمور:"ففي أيام أبي حزم تعرضَ ابن زيدون لحادثة السِّجن وهي قضية أطال مؤَرخو الأدب في ذكرها، وتفصيلها،ومختصرها أن خصوم الشاعر حشدوا قواهم،وأحكموا أمرهم،فأخذوا في روع الأمير أن الشاعر يتآمر على حكمه وأنه ضالع في الدعوة لهشام الخليفة المزعوم بإشبيلية."[3]

"وزعموا تردده على مجالس ولاته مثير للشك،قد يخفي خلفه مؤامرات سياسية مع أقاربها الأمويين المخلوعين،وأنها تواري أهدافها السياسية وتظهر الحب لابن عبدوس لتكون في حمايته،وكان ابن عبدوس المنافس اللدود لابن زيدون إذ كان من أبرز الحاسدين الذين أخذوا يوشون بابن زيدون عند أبي حزم ويكشف عن ميوله السياسية نحو البيت الأموي."[4]

"فاستجاب الأمير لهذه الدسائس،ولكنه لم يرد تقديمه للمحاكمة بهذه التهم،فإن من العسير إثباتها عليه،بل استطاع الشاعر في قصائده ورسائله أن يوهن ما قامت عليه من أساس ويتخلص من أية لائمة."[5]

---

[1]: عناني محمد زكريا،تاريخ الأدب الأندلسي،دار المعرفة الجامعية،إسكندرية،1999م،ص،99.

[2]: فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،1994م،ص،15.

[3]: لسان الدين بن الخطيب،أعمال الأعلام،تحقيق ليفي بروفنصال،الرباط،مطبوعات معهد العلوم المغربية،1934م،ص،180،179.

[4]: علي عبد العظيم،شرح ديوان ابن زيدون ورسائله،مكتبة نهضة،بالفجالة مصر،1957م،ص،40.

[5]: عبد المنعم خفاجي،الأدب الأندلسي: التطور والتجديد،دار الجيل،بيروت،ط،1992م،1،ص،489.

"فأوحى الأمير إلى حاشيته فدبرت له تهمة اغتصاب عقار مجاور لأرضه ,وقد عين قاض خاص,أعد للحكم في هذه القضية حتى لا ينجو الشاعر من العقاب وهو عبد الله بن أحمد بن المكوى.والذي قال عنه ابن سعيد ـ لم يكن في نصاب القضاء ـ ولقد اكتفى هذا القاضي بسماع التهمة المنسوبة إلى الشاعر وما صاحبها من إثباتات،دون أن تعطي للشاعر فرصة الدفاع عن نفسه وإظهار براءته بما يحمله من دلائل عليها،فكان أن حكم القاضي بإلقائه في السِّجن،فسُجن ولم يكن لحبسه أمد محدود،وقد طال حتى فر منه الشاعر بعد أن قضى به خمسمائة يوم."[1]

" كما اتهم بالتدبير لقلب نظام الحكم والميل إلى عودة الخلافة الأموية."[2]

[1]: علي عبد العظيم،شرح ديوان ابن زيدون ورسائله،مكتبة نهضة،بالفجالة مصر،1957م،ص،40،41.

[2]: سكينة قدور،الحبسيات في الشعر العربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب واللُّغات،جامعة منتوري قسنطينة،2006م ـ 2007م،ص،51.

المبحث الثالث:سِّجنيات ابن زيدون

القصائد التي أنشدها ابن زيدون خلف قضبان السِّجن ووراء الأبواب السوداء،وهي قصائد قالها بولعة وحرقة وألم,وتغلب عليها سمة الاستعطاف والحنين،والعتاب لكن دون تذلل، ووصف حاله ومعاناته ومنها:

1:السَّجينة الأولى:[1]

هذه قصيدة التي نقرأ فيها هذه الأبيات فنعلم أنَّ بياض الشيب قد وخط عارضيه قبل أن يخلع برد الشباب،وقبل أن يبلغ ثلاثين ربيعا،قال جودت الركابي أن قصيدة التي مما يلي قد كتبها إلى أبي الحزم ين جهور في السِّجن فيقول:

من يسأل النَّاسَ عَنْ حَالي فَشاهَدها ... مَحضُ العِيانِ الذي يُغني عنِ الخبَر

لم تَطْو برْدَ شَبابي كُبرةٌ وأَرى ... برْقَ المشيبِ اعتلى في عارضِ الشِعر

قَبل الثَلاثِين إذْ عَهْد الصِبا كثب ... وللشِيبَة غُصْنٌ غيْر مُهتَصر

ها إِنَّها لَوعةُ في الصَدْرِ قادِحَة ... نَارُ الأَسى ومشيبي طَائِر الشَرَر

لا يَهْنَأ الشامتُ المرتاحُ خاطِرَه ... أَنى مَعْنى الأماني ضائِع الخَطَر

هَل الرِياحُ بِنَجْمِ الأَرْضِ عاصفةٌ ... أُمُ الكُسوفِ لِغَير الشَمس والقَمرِ

إن طالَ في السِّجن إيداعِي فلا عجب ... قد يُودِع الجفن حدَّ الصارم الذكر

وإِن يثبْط أبا الحَزمِ الرِضا قَدر ... عن كشف ضِري فلا عتب عل القدر

ما للذُنُوبِ التي جانى كِبائرها ... غَيْري يُحَملني أوزارها وزرى؟

---

[1]: فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص،107.

- جودت الركابي،في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،م1960،ص،177.

- البستاني بطرس،أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث،دار نظير عبود،بيروت،ص،134.

من لم أزل من تأنيه على ثقة ولم أَزَلْ مِن تَجَنيه عَلَى حذرٍ

ذو الشيمة الرسل إن هيجت حفيظته والجانب السهل والمستعتب اليسر

وزير سلم كفاه يمن طائره شؤم الحروب وأرى محصد المرر

أَغنَتْ قَرِيحَته مَغْنى تجَارِبه ونَابَت اللَّمحة العُجْلى عن الفكْر

قد كنت أَحْسَبني والنَجمُ في قرنٍ ففيم أَصْبحتُ مُنحطا إلى العَفر

أَحينَ رفَ على الآفاق مِن أدبِي غرس له مِن جِناه يانعُ الثَمْرِ

وسيلة سببٌ إلاَ تَكُن نَسبًا فهْوُ الودَادِ صفا من غَيْر ما كَدَرْ

وَبائِن من ثَناءِ حسنِه مثل وشى المِحاسِن منهُ معلَمُ الطرر

يَستودِع الصحف لا تَخْفي نوافجهُ إلا خَفاءُ نَسيمِ المِسك في الصرر

لي في اعتمادك بالتأميلِ سابقه وهجرة في الهَوى أَولى من الهجرِ

ففيم غضَت همومِي من علَا هِمِي وحاص بي مطلبي عن وِجهة الظفرِ

هل مَن سبيل فماء العَتبِ لي أسنُ إلى العذوبَة من عُتباك والخصر

نذرتُ شكركَ لا أنسى الوفاء به إن أسفرت لي عنها أوجه البشرِ

لا تله عنى فلم أسألك مُعتَسفا ردَ الصِبا بعدَ إيفاء على الِكبر

هبني جهلت فكَان الصُنع سيئة لا عذر منهَا سوى أَنِي من البَشرِ

إن السيادة بلا إغضاءِ لابسة بهاءها وبهاءُ الحُسن في الخفرِ

فاشفع أكنْ مِثل ممطورٍ ببلدتهِ جذلان بالوطَنِ المألوف والوطر

والبس من النعمة الخضراءِ أَيكتها ظلا حراما على اللآفات والغير

نعيم جَنةٍ دُنيا إن هي انصرمت نَعمت بالخلد في الجَنات والنَهرُ

2:السَّجينة الثانية:[1]

بعث هذه القصيدة ابن زيدون من سجنه إلى أبي الحزم بن جهور يمدحه بها ,حتى يرأف بحاله ويطلق سراحه يقول:

ماَ جَال بَعدك لحظِي فِي سِنا قَمِر إلَا ذَكرْتُكَ ذِكْرَ العَينِ بالأَثر

ولا اسْتطلَتُ ذماءَ اللَّيل مِن أسَف إلَا علَى ليلَة سِرتُ مَع القَصْر

فِي نشْوةِ من سنَاتِ الوَصلِ مُوهمَة أنَ لَا مَسَافة بيْنَ الوَهْنِ والسِّحْر

مُنَى,كَأَن لم يَكن إلا تَذكِرها إنَّ الغَرَام لُمعْتَاد مَعَ الذِكر

[1]: فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص،106.

ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،1997م،ص،347.

2:السجينة الثالثة:[1]

يذكر فيها السِّجن وما واجهه فيه من الصعوبات والمشاكل،وأهوال الحبس يقول:

ألم يأن أن يبكى الغمام على مثلى ويطلب ثأري البرق منصلت النِّصل

وهلأ أَقامَت أنجم اللَّيل مأتمَها لتَنتدبَ فِي الآفاقِ ما ضاع من نُبْلى

ومُثْلى قَد تَفُو به نشْوة الصِّبا ومِثْلُك من يَعفو ومَا لَك مِن مَثَل

وإني لتَنْهَانى نَهاي عن التِي أَشَاد بِها الواشَي ويَعقلنِي عُقلى

أأنكثُ فيك المدح من بعد قوة فلا أقتدي إلا بناقضة الغَزَ

ذممت إذا عهد الحيَاة ولاَ يَزل ممِرًا عَلَى الأيَامِ طعْمُها المحلى

ومَا كنتُ بالمهدى إلى السوددِ الخناَ ولاَ بالمِسيئ القول في الحَسنِ الفعل

وما لي لا اثنىَ بآلاء مُنعمٍ إذ الروضُ أثنى بالنَسيمِ على الطَّلل

[1]: فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص ،239،41،40.

ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت،1997م،ص، 351.

جودت الركابي،في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،1960م،ص،27،28،226،54.

هي النَعل زَلت بي فهل أنت مُكذب لقيل إلا أعادي إنَّها زلة الحَسل

ألا إنَّ ظني بين فعليك واقفٌ وقوف الهوى بين القطيعة والوصلفان

تمن لي منك الأماني فشيمة لذاكَ الفعالُ القصدُ والخلقُ الرسلُ

وإلا جَنَيتُ الأنس من وَحشة النَوى وهَول السرى بين المطية والحَل

سيعنى بما ضيعت منَى حافظ ويلقى لما أرخصتُ من خطرى مغلى

وأين جواب منك ترضى به العلا إذا سألتني عنك لسنة الجفل

4:السَّجينة الرابعة:[1]

قال شوقي ضيف،تغنى ابن زيدون مرارا بأمراء قرطبة بني جهور ،ولما ظنوا أنه مشترك في مؤامرة ضدهم وزجوا به في غياهب السِّجن أخذ يعتذر إليهم وردت إليه حريته،فالتحق بالمعتضد بن عباد أمير إشبيلية بمثل قوله:

بني جهور أحرقتُم بجفائكم جناني ولكن المدائح تعبق

تُعدونَني كالعنبر الورد إنَّما تطيب بكم أنفاسه وهو يحرقُ

[1]:شوقي ضيف،عصر الدول والإمارات،الأندلس،دار المعارف،قاهرة،ص،176.

ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،1997م،ص،354.

زيات أحمد حسن،تاريخ الأدب العربي،قديمي كتب خانه كراتشي،باكستان،2006م،ص،242.

ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص،196.

5:السَّجينة الخامسة:[1]

أرسل ابن زيدون من سِّجنه الرسالة الجدية إلى ابن جهور يستعطفه فيها، وأرسل معها قصيدة يمدحه بها ويستعطفه بها،ويبدو فيها الشاعر شاكيا يريد أن يدفع عنه التهمة التي أودت به إلى السِّجن، وقد ذكر في هذه القصيدة أنَّه مكثَ في السِّجن خمس مئة يوم فقال:

الهوى فِي طُلوع تلك النُجوم والمنى في هُبوبِ ذلك النَسيم

سَرَنا عيشنا الرَقيقُ الحواشي لو يدومُ السُرور للمستَديم

ومتى يَبدأُ الصنيعة يولعكَ تَمَامُ الخِّصال بالتتميمِ

6: السجينة السادسة:[2]

وبها يهجو أبا الحزم يقول:

قل للوَزير ,وقد قطعت بِمَدحه زَمَني ,فكان السِّجن منه ثَوابي

لا تخشَ في حَقي بما أمضَيته من ذاك في,ولا توق عتابي

لم تخط في أمري الصواب موفقا, هذا جَزاءُ الشاعِرِ الكّذابُ

---

[1] :ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص،280.

ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت،م1997،ص،345.

جودت الركابي، في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،1960م،ص،195،178.

الصفدي،تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون،المكتبة العصرية،بيروت،1969م،ص،27.

[2] : فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص،49.

الصفدي،تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون،المكتبة العصرية،بيروت،1969م،ص،86.

7: سِّجنيات ابن زيدون وهو يتشوق معاهد قرطبة [1]

ومن مخمسات ابن زيدون قصيدة قاله وهو مسجون يذكر قرطبة،وأيام لهوه فيها،ويصف نفسه في السِّجن فيفاخر معتزا به ،منها قوله:

أ قرطبة الغَراء هل فيك مطمعُ؟ وهل كبد حزى لبينك تنقَّعُ

وهل لياليك الحَميدَة مرجع؟ إذ الحسنُ مرأى فيك والحَسنُ مسمعُ

وإذ كنف الدنيا لديك موطَأُ

تنشَّق من عرف الصبا ما تنشَقَّا وعاوده ذكرُ الصِّبا فتشوقَا

ومازالَ لمعُ البرقِ لما تألقَا يهيبُ بدَمع العين حتى تدفقا

وهل يملك الدَّمع المشوق الصبا؟

خليليَّ إن أجزع فقد وضح العذر وإن أستطع صبرا فمن شِيمتي الصبر

وإن يك رزءا ما أصاب به الدهر ففي يومنا خمر,وفي ذدة أمر

ولا عجب ,إن الكريم مُرزأ!

رمتني اللَّيالي عن قسيَ النوائب فما أخطأتني مرسلات المصائب

أقضي نهاري بالأماني الكواذب وآوى إلى ليل بطيء الكواكب

---

[1]: فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص،197.

البستاني بطرس،أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث،دار نظير عبود،بيروت،ص،132،133.

وأبطأ سار كوكب بات يكلأ

فأحيا كأن لم أنس نفح جنابك؟ أليس عجيبا أن تشط النوى بك

ولم يلتئم شعبي خلال شعابك ولم يك خلقي ,بدؤه من ترابك

ولم يكتنفني من نواحيك منشأ

نهارك وضاح ، وليلك ضحيان وتربك مصبوح ، وغصنك نشوان

و أرضك تكسى حين جوك عريان ورياك روح,للنفوس وريحان

وحسب الأماني ظللك المتفيأ

أأنسى زمانا بالعقاب مر فلا وعيشا بأكناف الرصافة دغفلا

ومغنى ،وإزاء الجعفرية ،أقبلا لنعم مراد النفس روضا وجدولا

ونعم محل الصبوة المتبوأ

ويا ربّ ملهى بالعقيق,ومجلس لدى ترعة,ترنو بأحداق نرجس

بطاح هواء مطمع الحال مؤنس مغيم ولكن,من سنا الرّاح مشمس

إذا ما بدت في كأسها تتلألأ

وقد ضمنا من عين شهدة مشهد, بدأنا وعدنا فيه والعود أحمد

يزف،عروس اللّهو أحور أغيد له مبسم عذب وخد مورد

وكف بحناء المدام تقنأ

وكائن عدونا,مصعدين ,على الجسر إلى الجوسق النصرى بين الربى العفر

ورحنا إلى الوعساء من شاطئ النهر بحيث هبوب الريح عاطرة النشر

علا قضب النوار فهي تكفأ

وأحسن بأيام ،خلون صوالح بمصنعة الدولاب ,أو قصر ناصح

تهز الصبا،أثناء تلك الأباطح صفيحة سلسال الموارد سائح

ترى الشمس تجلو نصلها حين يصدأ

ويا حبذا الزهراء ،بهجة منظره ورقة أنفاس وصحة جوهر

وناهيك من مبدأ جمال ومحضر وجنة عدن تطيبك وكوثر

بمرأى يزيد العمر طيبا وينسأ

معاهد أبكيها لعهد تصرما أغص,من الورد الجني وأنعما

لبسنا الصبا فيها حبيرا منمنما وقدنا،إلى اللذات جيشا عرمرعا

له الأمن ردء والعداوة مربأ

كساها الربيع الطلق وشي الخمائل وراحت لها مرضى الرياح البلائل

وغادى بنوها العيش،حلو الشمائل ولا زال منا بالضحى والأصائل

سلام،على تلك الميادين يقرأ

أ إخواننا للواردين مصادر ولا أول إلا سيتلوه آخر

وإني لأعتاب الزمان،لناظر فقد يستقيل الجد,والجد عائر

وتحمد عقبي الأمر مازال ينشأ

ظعنت،فأن الحر يجفى فيظعن وأصبحت أسلو بالأسى حين أحزن

وقر,على اليأس,الفؤاد الموطن وإن بلادا,هنت فيها ,لأهون

ومن رام مثلي بالدنية أدنأ

ولا يغبط الأعداء كوني في السِّجن فإني رأيت الشمس تحصن بالدجن

وما كنت إلا الصارم العضب في جفن أو اللّيث في غاب أو الصقر في وكن

أو العلق يخفي,في الصوار, ويخبأ

يضيق,بأنواع الصبابة مذهبي إلى كل رحب الصدر,منكم مهذب

مفضض لألأء الأسارير مذهب ينافس,منه البدر غرة كوكب

درى أنها أبهى سناء وأضوأ

أسفت فما أرتاح والرّاح تشمل ولا أسف الأوتار وهي ترسل

ولا أرعوي عن زفرة حين أعذل ولا لي مذ فارقتكم متعلل

سوى خبر منكم على النأى يطرأ

حمدتم من الأيام لين خلالها وسرتكم الدنيا بحسن دلالها

مؤمنة من عسفها وملالها ولا زال منكم لابس من ظلالها

يسوغ أبكار المنى ويهنأ

8:سِّجنيات ابن زيدون إلى أبي حفص بن برد:[1]*

نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفياضة بالألم واللوعة والحزن،وهو في السِّجن و وبعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حفص بن برد،قال:

شكوى وغاب ما على ظني باس يجرح الدهر ويأسو

ربما أشرف بالمرء على الأمال ياس

ولقد ينجيك إغفال ويرديك احتراس

واغتنم صفو اللّيالي وإنما العيش اختلاس

وعسى أن يسمح الدهر فقد طال الشِّماس

9:سَّجينة ابن زيدون إلى محبوبته ولادّة بنت المستكفي:[2]

قد نظم ابن زيدون هذه القصيدة الرقيقة القصيرة،التي نقرأ فيها هذه الأبيات فيخيل لنا أنَّها قيلت في السِّجن وابن زيدون لا يستطيع أن يطير إلى محبوبته ولادة،قال:

إليك من الأنام،غدا ارتياحي وأنت على الزّمان،مدى اقتراحي

---

[1]: أبو حفص بن برد:هو أحمد بن محمد بن برد،مولى أبي عامر بن شهيد،المبدع في التشبيه والتمثيل والبارع في المحاكاة والتخيل من أهل بيت جليل،له رسالة في السيف والقلم.انظر: الصفدي،تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون،المكتبة العصرية،بيروت،1969م،ص،19.

*: فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص،138.

ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت،1997م،ص،359.

حامد كمال عبد الله حسين،معجم أجمل ما كتب شعراء العربية،دار التوزيع والتسويق الدولية،2002م،ص،186.

جودت الركابي، في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،1960م،ص،224،177.

[2]: فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ص،58.

جودت الركابي، في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،1960م،ص،177.

أحمد خليل،نساء من الأندلس،اليمامة للطباعة والنشر،بيروت،2001م،ص،451.

وما اعترضت هموم النّفس إلا ومن ذكراك ريحاني وراحي

فديتك إن صبري عنك صبري لدى عطشي,على الماء القراح

ولي أمل لو الواشون كفوا لأطلع غرسه ثمر النّجاح

فؤادي من أسى غير خال وقلبي عن هوى لك غير صاح

وأن تهدي السّلام ألي غبا ولو في بعض أنفاس الرياح

الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله الذي تقصر الأقطار أن تحويه وتعجز الأستار أن تخفيه،و الحمد لله نحمده حمد الشاكرين والذي بتوفيقه لَقِيت سفينة بحثنا هذا مرسًى لها،وجئنا كأي عمل ينتهي بخاتمة بعدما كنا في رحلة ممتعة بين طيات **أدب السُّجون**،حيث عدنا بالزمن إلى **بيئة الأندلس**،فخَلُصَت **مذكرة** بحثنا المتواضع **أدب السُّجون في الأندلس** إلى مجموعة من التعريفات والمصطلحات والعناصر التي كانت بين طَيات الصفحات السابقة بحيث لا يسعنا في ختام هذه الدراسة إلّا تلخيص ما انتهت إليه في جملة من الملاحظات والنتائج وهي كالآتي:

عرف السِّجن منذ القدم كعقوبة،حيث يتم سَجْن السَّجين سواء عن طريق ربطه بشجرة أو في بيت مكلف بذلك أو في بئر وغير ذلك من السُّجون التي عرفت عبر الأزمنة.

- السِّجن لفظة تواردت في القواميس اللغوية بعدة تعريفات حيث عرف وتوافق على أنه هو الحبس حيث كثيرا ما نجد تداولا لهذين المصطلحين بكثرة عند الشعراء بين الصدر والعجز.
- تواردت في القواميس مرادفات عدة للفظة السِّجن كلها تصب في قالب واحد لتدل على السِّجن وقد حاولنا أن نجمع بعضًا من هذه المرادفات:الحبس،الأسر،الاعتقال،الأزل،الاصفاق،القصر،الدِّيماس،المخيَّس الجعجاع,العناء....وغيرها من المصطلحات التي عبر عن طريقها الشعراء عن مرارة وألم السِّجن.
- القرآن الكريم جاء بالسِّجن ليس كعقوبة بل جاءت سَردًا لأحداث الأنبياء وخاصة سيدنا يوسف عليه السَّلام حين راودته امرأة العزيز عن نفسه فاختار السِّجن أحبًا إليه على أن يعصيَ الله،فكانت آيات عدة ذُكر فيها السِّجن،وكذا قصة سيدنا موسى وفرعون حين هدده بالسِّجن.
- السِّجن ليس بعقوبة حديثة النشأة بل متعارف عليه منذ القدم عبر الأزمنة ؛حيث عرف العصر الجاهلي ملوك الحيرة مثلا,وعرف صدر الإسلام الشاعر الحطيئة،والعصر الأموي نجد يزيد بن مفرغ الحميري وغيره من الشعراء،وفي العصر

العباسي عُرف علي بن الجهم البغدادي،أما العصر الأندلسي فما لأكثر شعراء هذا العصر وكان ذلك لكثرة الفتن والدسائس التي شهدها هذا العصر.

- تعددت مواضيع شعر السُّجون الأندلسي بتعدد رُأى الشعراء المسّاجين حيث عالج هؤلاء الشعراء مواضيع أَلمِهم فانقسمت هذه المواضيع إلى قسمين:مواضيع عامة ومواضيع خاصة؛فعالجت المواضيع العامة حياة السَّجين من قلق وخوف وهيبة وشوق،وكذا الحنين والشوق من حنين الأقارب والمكان والأصدقاء،أما المواضيع الخاصة ضمت الشعور بالوحدة وخيبة الأمل فالسّجين داخل السِّجن ينتابه هذا الشعور،وكذلك صورة الموت.
- تمثلت صلة الشاعر العربي بالسِّجن صلةً قديمة قِدم هذه المؤسسة،فعبروا عن تجاربهم فيها وتحدثوا عن مرارة وأهوال وطموحهم في الحرية وهم داخلها،فغلبت على لغة الشاعر الشكوى والرجاء والتوسل،ونجد في هذا المقام ابن زيدون بحتري المغرب،الذي سُجن لسببين:السبب السياسي داخل في صراعه مع الملوك والسبب العاطفي وهو حبه لولادة بنت المستكفي.
- ابن زيدون شاعرٌ وأديب أندلسي ترك أثرا كبيرا في التراث الأندلسي فوُجدت له عدة قصائد تتحدث عن حياته داخل السِّجن فكانت مذكرتنا قد شملت على تسعةٍ كتبها وهو داخل سِّجنه،لتبث استعطافه للحاكم وتعبر عن حالته.
- السِّجن بقيوده وظروفه لم يستطع أن يُشعر السَّجين بالعجز وألّا يبلغ حالة التعبير عما يجول داخله،فقاوم ولم يدع ما داخله يُحبس مثله.
- عُرف أدب السُّجون في الأندلس فنا قائما بذاته،فكتبت عنه أقلام عدة،فهو ظاهرة متعددة الجوانب،تاريخية اجتماعية ونفسية،فكان إثر ذلك نتائج فنية قامت بهذا العصر.
- عرفت الأندلس فتن ودسائس مما أدت إلى اختلالها سياسيا،وساهمت الأوضاع الاجتماعية والثقافية هي الأخرى في ظهور هذا النوع الأدبي وهو:أدب السُّجون في الأندلس.
- بلاد الأندلس وتراثها الزاخر بالآداب والفنون وغيرها التي ساهمت في بناءها والقيام بتاريخها من ناحية جغرافيتها هي موطن استراتيجي ومن ناحية علومها هي دعامة بحد ذاتها فكانت كل تلك العوامل ترسنة نشوء أنواع أدبية عدة ومن بينها أدب السُّجون الذي خصصت له مكتبات عدة ودراسات تناولته من كل جوانبه.

- وفي الختام لا بد من التنبيه إلى أن متعة دِراسة هذا القسم من الشعر وكشف خباياه من أجل معايشة تجربة تبقى قاسيةً ومريرةً لا يتمناها عاقلٌ.

ولا يسعنا إلا أن نقول أن خلاصتنا من مذكرتِنا هذه أن تكون جديرةً،وتعطي هذه الظاهرة الشعرية حقَّها،وهدفنا أن نزيد من ثروة قارئ هذه المذكرة المتواضعة،مقَدمين نقاطا حول أدب السُّجون في الأندلس إلا أن هناك من يجهلها وربما يعرفها آخرون؛فمن يجهلها قد عَلِمها اليوم ومن يعلمُها فقد تذكرها،ومما لا ريبةَ فيه أن هذا العمل كأي جهدٍ بشري لا يخلو من عثراتٍ وتقصيرٍ،راجين من الله عز وجلَّ التوفيق.

والحمد لله أولُه وآخره رب السَّموات والعرش العظيم.

الملحق: ابن زيدون كشخصية

- اسمه ونسبه
- نشأته منزلته
- وفاته
- أعماله

ابن زيدون كشخصية

1/اسمه ونسبه:

هو أبو الوليد[1]،أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون،ينتهي نسبه إلى بني مخزوم من بطون قريش الأندلسي القرطبي،ولد بقرطبة سنة 394هـ/1003م[2]،في بيت من بيوت العلم والأدب،فأبوه من جلة فقهاء قرطبة،وجدُّه من أمه من العلماء الذين تسَّلموا القضاء ،وأحكام الشرطة والسوق بقرطبة،فهو من بيت حسب ونسب وثراء.[3]

2/نشأته ومنزلته:

نشأة الشاعر تحت ظلال هذه البيئة العلمية،بيد أنه لم ينعم بها طويلا إذ سرعان ما توفي والده وهو صغير،لما يبلغ الحادية عشرة من عمره،فكفله جدُّه لأمه،وجعله يغرق من بحر التراث العربي بوساطة علماء كبار من شيوخ قرطبة ومؤدبيها،وتسنَّى له ذلك الأخذ من علوم العربية لتمتعه بموهبة أدبية وبذكاء حادٍّ،مشير إلى تعلمه بقوله:

وردت معين الطَّبع إذ زيد دونَّه أناس لهم في حجرتيه[4]

لؤَّاب[5]

و أَنجدِني علم توالت فُنونَه كما يتَوالى في النِّظام[6]

سِّخَابُ[7]*

لقد عاش شاعرنا في قرطبة الجهاورة،متسنما ذروة المناصب العالية التي أسبغها عليه حاكمها

---

[1]:الكتب التي ترجمت للشاعر أو عرضت له في هذا الدليل.

[2]ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،القسم الأول،ج1،ص338.

[3]:شوقي ضيف,تاريخ الأدب العربي،عصر الدول والإمارات،الأندلس،دار المعارف،ص، 282.

[4]:الحجرة: الناحية،ومثلٌ للعرب"فلان يرعى وسطا ويربض حجرة"،وحجرتا العسكر:جانباه من الميمنة والمسيرة،(تهذيب اللغة للأزهري).

[5]:اللُّؤاب:العطش،أو استدارة الحائم حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه.

[6]:النِّظام:كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه.

[7]:السِّخاب:ككتاب؛قلادة من سكٍّ وقرنفل ومحلب من غير جوهر.

*: علي عبد العظيم،تحقيق ديوان ابن زيدون،نشر دار نهضة مصر،م1957،القاهرة،ص،386.

أبو الحزم بن جهور،وولده أبو الوليد،وعلا نجم الشاعر فصار ذا الوزارتين[1]،ووكِّل بالسفارة بين ابن جهور وبين رؤساء،فأحسن التصرف في ذلك وغلب على قلوب الملوك،وجرَّت هذه المنزلة على الشاعر كيد الحُساد،فاصطنعوا المؤامرات والدسائس لكي يوصلوه إلى السِّجن وكان لهم سرعان ما توسط أبو الوليد ابن جهور ولد الحاكم فأطلقه من السِّجن.

وتعلوا منزلة الشاعر عند صديقه أبي الوليد إبان تسلِّمه حكم قرطبة بعد والده فيعلي خطته،وينتشله من نكبته،وينَّوه به،ويقدمه في الذين اصطنعهم لدولته.

ولكنَّه ولأسباب كثيرة ؛يغادر قرطبة سنة441هـ،إلى إشبيلية دار مملكة بني عبَّاد ويجتذبه صاحبها المعتضد إلى حضرته وينزل في كنفه ويصير من خواصِّه وصحابته في مهم رسائله على حال من التوسعة والتقدير.

وظَّل الشاعر وفيًّا للمعتضد ولولده المعتمد الذي أدنى مجلس الشاعر وأبقاه جليسا وسميرا له،على كثرة سعايات الوزراء الحُساد الذين حاولوا غير مرة أن يوعزوا صدره،بيد أنهم لم يفلحوا،لأنَّه كذَّب أقوالهم،وفند وشاياتهم[2]،وجعله في المحل الأعلى عنده.

وممّا يبين تقدير المعتمد وعنايته بابن زيدون في أثناء حكم والده قوله:

أيُّها المنْحَطّ عني مجلسا وله في النفس أعلى مجلسُ

بفُؤادي لَكَ حُبّ يقتضي أن ترى تحمل فوق الأرؤُسِ[3]

[1] :ذو الوزارتين منصب من المناصب العالية التي تسنمها رجال معروفون بالأدب وبالشدة في تدبير أمور الملك.وأول من تسلم هذا المنصب بالأندلس أحمد بن عبد الملك بن شهيد،أبو عمر،حيث إنَّه كان متصرفا في ولاية المدن والوزارة وقُود الصوائف للأمير الناصر عبد الرحمن بن محمد.
انظر الحلة السيراء،رقم،17،ص، 1،238.

[2] :دبّج السعادة الوشاة قصيدة غايتهم منها الإساءة إلى ابن زيدون مفترين عليه مدَّعين أنَّه نال من والد المعتمد بأبيات سوء،والراجح أن المعتمد تثبت في الأمر فوجد ما قالوه كذبا وردهم خاسرين،معلنا كذبهم موجها إليهم قصيدة تفندوا مزاعمهم.
انظر في ديوان ابن زيدون،ص،311.

[3] : شيخ إمام الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق قلائد العقيات،الدار التونسية للنشر،1990م،تونس,ص,40.

وهذان البيتان اللذان كتبهما المعتمد يشيران إلى أن ابن زيدون كان يجلس منحطًّا عن مجلس المعتمد في مجلس أبيه،لينفذ الأوامر الصادرة عن المعتضد.

ولعلّ خير ما يصور المنزلة التي ارتقاها الشاعر ما قاله الأديب الأندلسي ابن بسام،صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،في أثناء ترجمة له ناقلا كلام الأديب ابن حيان [1]،أبي مروان الذي عاصر ابن زيدون فقال:"قرأت في كتاب أبي مروان بن حيان،وقد أجرى ذكر من اصطنع ابن جهور من رجال دولته فقال(الكلام لابن حيان)ونوَّه أيضا بفتى الآداب وعمدة الظَّرف والشاعر البديع الوصف والرصف،أبي الوليد أحمد بن زيدون ذي الأبوَّة النبيهة بقرطبة.والوسامة والدراية والسلاطة وقوة العارضة والافتنان في المعرفة."[2]

3/وفاته:

لم يترك الحساد حيلة أو وسيلة لكي يبعدوا الشاعر عن المعتمد الذي استولى على قرطبة،مسقط رأس الشاعر،سنة462 هـ,فحاولوا أن يُنغِّصوا عليه فرحته بعودته إليها،بعد فراق طال إحدى وعشرين سنة،كان الشاعر في الثامنة والستين من عمره حين أقبل إليها،تملؤه الذكيات ويستبدُّ به الشوق إلى معقِّ التمائم وملاعب الطفولة.

لقد زينوا للأمير المعتمد أن يبعث بالشاعر إلى إشبيلية ليطفئَ نيران فتنة تسعرت فيها،ولبَّى الشاعر على تكرّه منه،فقد كان يعاني من بقية وعك كان متألما منه،وأتبعه السفر والحزن على مفارقة قرطبة،فلقي وجه ربِّه بدار هجرته إشبيلية صدر رجب سنة 463هـ[3]،بحضور ولده الوزير أبي بكر الذي كان قد استخلفه بقرطبة نائبا عنه في الكتابة،إذ سرعان ما دبَّر أولئك الحساد مؤامرة أخرى لإرساله إلى موضع والده بإشبيلية ليخلو لهم الجَّو.وكأن الأقدار رغبت في تقريب الوالد من ولده،وتنتهي حين ذلك الزمان حياة أديب كبير،ما زال النَّاس حتى يومنا هذا يرددون

---

[1]: حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء،أبو مروان:مؤرخ،من أهل قرطبة،كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس،أفصح النّاس بالتكلم فيه،وأحسنهم تنسيقا له.

[2]: ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،القسم الأول،ج1،ص337.

[3]: المصدر نفسه،ص336.

أشعاره العذبة.[1]

4/أعماله:

لقد دام بحثنا في هذا العنصر وبما أن موضوعنا هو أدب السُّجون فقد انتشر عند ابن زيدون في هذا المجال أشعار وقصائد عدة،ومن بين أعماله وجدنا له قصائد في الديوان سنقوم بذكرها كعناوين: قصيدة أضحى التنائي،الوطن الحبيب، قرض لا شفاعة،السلام إلى الغرب،الملول المتلون،المعاذير فنون،وجهك شافعي،لا فطر يسر ولا أضحى،يا نائما خمر وورد، هل يدفع القدر؟،أ يوحشني الزمن؟،أُفدي الحبيب،كما تشاء،خلق عذب،قرطبة الغراء،سلام الوداع،لو كنت الواجدة،سلام على تلك الميادين،قلب لا يتوب،الدموع شواهد،سلوتهم وبقينا نحن عشاق.[2]

أنت مولاه،فديتك،أنت كل النَّاس،راحة وعذاب،سلام على قرطبة،أنا راضٍ،الشوق القاتل،ضرب الحبيب،ميدان القلب،أفضل من الشمس،ما شئت فاصنعي،من يرحم،جمرة الحسد،يا ليل طل،ظلم الليالي.....[3]

---

[1] :عدنان محمد غزال،مصادر دراسة ابن زيدون،كويت،2004م،ص،14.

[2] : إبراهيم شمس الدين محمد الفاضلي، شرح ديوان ابن زيدون،دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع،ط1،2009م،ص،189.

[3] :المرجع نفسه،ص،190.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم:**

القرآن الكريم،بالرسم العثماني،برواية ورش عن نافع،مراجعة هشام بشير بويجره،دار ابن الهيثم،القاهرة،الطبعة الثانية،1429هـ،2008م.

- **المعاجم والقواميس:**

1. الجوهري،تاج العروس وصحاح اللّغة العربية،دار الكتب العلمية،بيروت،1999م 1:

2. الفراهيدي،كتاب العين،تحقيق مهدي المخزومي،مؤسسة دار الهجرة،إيران،ط،2،1904م 2:

3: الفيروز آبادي،المحيط،دار الكتاب العربي،بيروت،1983م.

4: الزبيدي،تاج العروس،دار الفكر،بيروت،ط،2،1976م.

5: الزمخشري،أساس البلاغة،تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا،دار المعرفة،بيروت،1982م.

6: ابن فارس،مقاييس اللّغة،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط،3،1981م.

7: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط،1،1997م.

8:جبران مسعود،الرائد،دار العلم للملايين،1992م.

- **المصادر و المراجع:**

البستاني بطرس،أدباء العرب وعصر الانبعاث،دار نظير عبود،بيروت.1

2:الصفدي،تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون،المكتبة العصرية،بيروت،1969م.

3.:ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس،القسم الأول،ج،1

. 4:ابن نجيم،زيد الدين إبراهيم،البحر الرائق،دار الكتب العلمية،بيروت،1997م،ج،6

5:إبراهيم شمس الدين محمد الفاضلي، شرح ديوان ابن زيدون،دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع،ط،1،2009م.

. 6:أبي الفرج الأصفهاني،الأغاني،دار الفكر ،مكتبة الحياة،بيروت،1956م

7:أحمد خليل،نساء من الأندلس،اليمامة للطباعة والنشر،بيروت،2001م.

8:بسيم عبد العظيم عبد القادر إبراهيم،شعر الأسر والسّجن في الأندلس،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط،1،1995م.

.9:جواد علي،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،دار العلم للملايين،بيروت،ومكتبة النهضة بغداد،ط،2،1978م

10:جودت الركابي، في الأدب الأندلسي،دار المعارف بمصر،1960م.
11:ديوان ابن زيدون،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م.
12:رئيف خوري،حصاد السّجن،المقدم أحمد الصافي النجفي،دار العلم للملايين،بيروت،ط،2،1961م.
13:زيات أحمد حسن،تاريخ الأدب العربي،قديمي كتب خانه كراتشي،باكستان،2006م.
14:شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،عصر الدول والإمارات،الأندلس،دار المعارف.
15:شيخ إمام الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق قلائد العقيات،الدار التونسية للنشر، تونس ،1990م.
16:عبد الرحمن علي الحجي،التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة،دار القلم دمشق،بيروت،ط،2،1402هـ،1981م.
17:عبد العزيز عتيق،الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية.
18:عبد الله حمزة،ديوان ابن زيدون،دار المعرفة ،بيروت،ط،1,1426هـ،2005م.
19:عبد المنعم خفاجي،الأدب الأندلسي: التطور والتجديد،دار الجيل،بيروت،ط،1992م.
20:عدنان محمد غزال،مصادر دراسة ابن زيدون،كويت،2004م.
21:علي عبد العظيم،شرح ديوان ابن زيدون ورسائله،مكتبة نهضة،بالفجالة مصر،1957م.
22:عناني محمد زكريا،تاريخ الأدب الأندلسي،دار المعرفة الجامعية،إسكندرية، 1999م.
23:عناني مصطفى ،إظهار المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون،مطبعة الرحمانية مصر،1927م.
24: فرحات يوسف،شرح ديوان ابن زيدون ،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،1994م.
25فوزي خضر،عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون،كويت،2004م.
26: لسان الدين بن الخطيب،أعمال الأعلام،تحقيق ليفي بروفنصال،الرباط،مطبوعات معهد العلوم المغربية،1934م.
27:واضح الصمد،السُّجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط، 1,1415هـ،1995م.
28:وهبة الزحيلي،الفقه الإسلامي وأدلته،دار الفكر،دمشق،ج،6,1984م.
. 29:وهيب طنوس،الوطن في الشعر العربي،مديرية الكتب والمطبوعات،1979م
pdf. 30: يونس هاشم مجيد،معاني شعر السّجون في الأدب الأندلسي إلى نهاية عصر الطوائف،

- **الرسائل الجامعية:**

1: الرفاعي يوسف،السُّجون في مصر في عصر المملوكي،رسالة ماجستير،كلية الدراسات العليا الجامعية الأردنية،2009م.

2: براهيمي فوزية،شعر السُّجون في الأندلس، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،كلية العلوم اللُّغات والآداب،قسم اللُّغة والأدب العربي ،جامعة بن يوسف بن خدة،2004م،2005م .

3: ريمة برفرق،شعرية الفضاء المغلق،رسالة ماجستير،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الحاج لخضر الجمهورية،الجزائر،2008،2009م .

4: سكينة قدور،الحبسيات في الشعر العربي،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب واللُّغات،جامعة منتوري قسنطينة،2006م ـ 2007م.

- **المواقع الالكترونية:**

1: http:ar.wikipedia.org.wiki

2: south African prison biterature,Johannesburg 1984,http,ar,wikipidea,org,wiki ,Sheila Roberts

الفهرس

الفهـــــرس:

الموضوع:	الصفحة
• **المقـــــــــدمة**	أ ـ د
• **المـــــــــدخل**:لفظة وجغرافية الأندلس والأوضاع الاجتماعية والفكرية والسياسية	9 ـ2
➢ لفظة الأندلس	4 ـ3
➢ جغرافية الأندلس	5 ـ4
➢ الأوضاع الاجتماعية	6 ـ5
➢ الأوضاع الفكرية	9 ـ6
➢ الأوضاع السياسية	9 ـ8
• **الفصل الأول**:أدب السُّجون	33 ـ11
1/المبحث الأول:تعريف المصطلح ومرادفاته في المعاجم اللُّغوية والقرآن الكريم	21 ـ11
➢ تعريف أدب السُّجون	
➢ تحديد المصطلح في المعاجم والقواميس	12 ـ11
. التعريف اللُّغوي	14 ـ12
. التعريف الاصطلاحي	13 ـ12
. من مرادفات لفظة السِّجن	14 ـ13
➢ في القرآن الكريم	17 ـ14
2/المبحث الثاني:لمحة تاريخية عن تطور مفهوم السِّجن	21 ـ17
3/المبحث الثالث:شعر السُّجون في الأدب العربي القديم	25 ـ22
➢ في العصر الجاهلي	33 ـ26
➢ في صدر الإسلام	28 ـ26
➢ في العصر الأموي	29 ـ28

➢ في العصر العباسي	30 . 29
➢ في العصر الأندلسي	32 . 30
• **الفصل الثاني**: مواضيع شعر السُّجون في الأندلس	33 . 32
1/المبحث الأول:ا لمواضيع العامة	57 . 35
2/المبحث الثاني: المواضيع الخاصة	47. 35
• **الفصل الثالث**:السِّجنيات عند ابن زيدون	57 . 48
1/المبحث الأول: الأدب الأندلسي وابن زيدون	76 . 59
2/المبحث الثاني:سبب دخوله السِّجن	60 . 59
3/المبحث الثالث:سِّجنيات ابن زيدون	64 . 60
• **الخاتمة**	76 . 65
• **الملحق**:ابن زيدون كشخصية	80 . 78
• **قائمة المصادر والمراجع**	85 . 82
• **الفهرس**	89 . 87
	92 . 91